# الفهرس

**حدث ذات جدار..... ص 1**

أ.د. ضياء غني العبودي

**أثر أسلوب الاستخدام في تأدية المعنى (دراسة وصفيّة تحليليّة تطبيقيّة)..... ص 23**

د. هاشم البشير محمد

**اتجاهات مدرسي التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس..... ص46**

م.م. صبا محمد عبد الكريم

**نظريّة الجزالة اللّغويّة في أدب عبد الله الطيّب.....ص 85**

د. هاشم البشير محمد

**واقع الإحصاء السكاني في العراق** (دراسة في البيانات الديموغرافية وأبعادها على التخطيط والتنمية)**.....ص 109**

أ.د. فراس عباس فاضل البياتي

# حدث ذات جدار

## الملخّص

تناول هذا المطلب بالدراسة السيميائية العنونة عند سناء شعلان، وذلك بالتركيز على مجموعتها القصصية "حدث ذات جدار" التي أبدعت فيها إبداعا كبيرا، وكأنها تحاول الإيهام في تأسيس أرضية لنمط جديد من القصص، و هذا ما سيستدعي –حتما– الاستعانة بمناهج حديثة لمقاربة هذا النص، و لهذا سنستعمل المنهج السيميائي، الذي كثيرا ما نعت بأنه منهج نصي، و في ضوئه سنحاول استنطاق عنوانات قصص المجموعة؛ على أساس أنَّ علم السيمياء اهتم بالعنوان، لإسهامه هو الآخر في كشف مفاتيح النص الأدبي.

وعلى هذا الأساس، فقد تناولت الدراسة النقاط الآتية:– تمهيدا نظريا، درسنا فيه مصطلح (العنوان) مقاربة تطبيقية للعنوان الخارجي (الرئيس)، – إحصاء لعدد اللوحات المعنونة مع البحث في الأبعاد الدلالية و الجمالية لبعض تلك العنوانات الفرعية .

**أ.د.ضياء غني العبودي**

**جامعة ذي قار – العراق**

**تحديدات أولية :**

تشكل العنوانات أهمية كبيرة في المقاربات السيميولوجية، بوصفها أحد المفاتيح الأولية والأساسية التي على الباحث أن يحسن قراءتها وتأويلها، والتعامل معها، فهو بمنزلة العتبة التي على الدارس أن يطأها قبل إصدار أي حكم، فعنوان الرواية لا يُوضع عبثاً أو اعتباطاً على الغلاف "إنه المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره و تشعباته الوعرة"[1] فللعنوان مكانته عند المؤلف، وعادة ما يكون الباب الموصد عند المؤلف حين يفكر في اختيار العنوان ؛ لأن الكاتب يفكر في مشروع الكتاب وتفاصيله من فصول وأبواب، ويترك العنوان فيما بعد وهذه البنية هي لغة و خطوط وأشكال وألوان، ومن خلال هذه اللغة يمكن إظهار الواقع أو التعبير عنه أو الإحالة إليه .

وقد نقل ابن منظور تعريف العنونة لغة إذ جاء في اللسان: «قال ابن سيده: العُنوانُ والعِنوان سمة الكتاب. وعَنْوَنَةٌ عَنْوَنَةً وعِنْوَنًا وعَنَّاه، كلاهما: وَسَمَهُ بالعُنْوَانِ. وقال أيضا: والعُنْيَانُ سمةُ الكتاب، وقد عنَّاهُ وأعناه، وعَنْوَنْتُ الكِتَابَ وعَلْوَنْتُهُ. قال يعقوب: وسَمِعْتُ من يقول أَطِنْ وأَعِنْ أي عَنْوِنْهُ واخْتِمِهُ، قال ابن سيده: وفي جبهته عُنْوانِ من كثرة السجود أي أثر» [2].

أما اصطلاحاً فهو «مقطع لغوي أقل من الجملة يمثل نصا أو عملا فنيا، ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين: أ- في سياق، ب- خارج السياق، والعنوان السياقي يكون وحدة مع العمل على المستوى السيميائي، ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة» [3]، ومع أن التعريف يركز على أن العنوان يكون أقل من الجملة هناك

عنوانات قد تتجاوز الجملة.

ويعد العنوان الوسيط الأول بين النص والقارئ يأخذك العنوان إلى تأكيدات داخل النص ضمن مجموعة من السياقات أو بعضها، كسياقات الحدث أو الوصف أو التركيب اللغوي أو الدلالي فكرياً أو حياتياً، وهذا يعني أن العنوان يدخل بك في عوالم متعددة ومحطات كثيرة في هيكل العمل وجسده .

إن العنوان يعد موضع اهتمام للباحثين، وهو أمر ليس بالجديد، فقديماً اهتم النقاد بافتتاح النص ووضعت الكتب له كما في مؤلف الحاجي خليفة الذي وسمه باسم شفّاف الدلالة على مقاصده وهو"كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، وإدراج كلمة الظنون في تضاعيف العنوان تفصح عن هاجس في ذهن الرجل بخصوص ما يعتري العناوين من غوامض تتطلب من يميط عنها لثام الظنّ، فضلا عن اهتمام النقاد القدماء بافتتاح النص الشعري، ووضعوا الشروط له ليكون مدخلا لذلك النص، وهذا الاهتمام انسحب ليشغل حيز النقد الحديث وبدلا من أن يكون افتتاح النص اهتمامهم، أصبح العنوان مرتكزاً لأبحاثهم بوصفه مفتاحاً إجرائياً لا يمكن تجاوزه دون اهتمام فهو" المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النَّص وتسهيل مأمورية الدُّخول في أغواره وتشعباته الوعرة" أما دريداً فاعتبره بمثابة الثريا التي "تشرف وتشرق" على النصّ[4].

وقد كان اهتمامهم به من حيث كونه" نظاما سيميائيا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شفرته الرامزة" [5]، فقد عرفه ليوهوك بأنَّه " مجموع العلامات اللسانية (كلمات مفردة، جمل، نص) التي يمكن أن تدرج على

رأس نصه لتحدده وتدل على محتواه العام وتعرف الجمهور بقراءته" [6] والناظر إلى معظم الدّراسات المعتمدة على مقاربة العنوان يدرك بشكل واضح الأهمية القصوى التي يحظى بها العنوان بوصفه " نصا مختزلاً ومكثفاً ومختصراً " [7] له علاقة مباشرة بالنص الذي وسم به ،فالعنوان والنص يشكلان ثنائية والعلاقة بينهما هي علاقة مؤسسة " إذ يعدّ العنوان مرسلة لغوية تتصل لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا فتكون للنص بمثابة الرأس للجسد نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة وأخرى استراتيجية إذ يحتل الصدارة في الفضاء النصي للعمل الأدبي"[8].

البنيّة الأيقونيّة – لغلاف المجموعة القصصية–

أمَّا لوحة الغلاف فشكلت معماراً فضائياً بخلفية إسهامها في تكريس البنية الميكروسيميائية العامة للمجموعة القصصية، وبارتباطها مع قيمتها المركزية . وهكذا، بدءاً من دفة الغلاف الأولى، ندخل أجواء المجموعة القصصية ،إذ تطالعنا مؤشرات أولى نحو الدلالة من خلال صورة الغلاف.

وأشير هنا إلى تسمية المجموعة " حدث ذات جدار" كانت بمنزلة الرحم التي انبثق منها اسم المجموعة،. و أنَّ العنوان لا يملك معناً ثابتاً، فالكلمة بداية، لها ذاكرتها المقرونة بما في ذاكرة القارئ من دلالات وخبرات معها، ولكن هذه الدلالات تتعدل ذهابا وإيابا في عملية القراءة، أي أن دلالات العنوان تتغير مع كل نقلة عين في النص، إلى أنَّ تصل إلى ختام المقروء، هنا تكتمل قراءة واحدة من قراءات العنوان المفتوحة.

أمَّا علاقة العنوان بالمتن الحكائي، فالعنوان يحيلنا مباشرة إلى أهم

المكونات الأساسية التي دائما هي أول ما يواجه المتلقي، وآخر ما يبقى في ذهنه بعد القراءة إنَّ عنوان ( حدث ذات جدار ) جملة أسمية متكونة من خبر مبتدأه محذوف تقديره هذا أو هو، ومن المعروف عن الجمل الاسمية أنَّها جمل تدلُّ على الثبات، وهو ما يقرره الواقع أيضاً، فالجدار ثابت لا يتحرك جثم في مكان ما لتدور حوله أنواع من الأحداث .

الغلاف عبارة عن صورة لجدار عالٍ لا يبدو واضحاً للوهلة الأولى للقارئ، بل ظهر على شكل خطوط تمتد إلى الأعلى بشكل يوحي أنَّها لا نهاية لها، ليشير إلى الجدار العازل الذي بناه الصهاينة، ويظهر مع الجدار صورة جبل للدلالة على صمود وثبات الشعب الفلسطيني، وقد تدخلت معهم مجموعة من الصور، صورة إلام والطفل دلالة واضحة على المعاناة بسبب الجدار العازل وما سببه من مآسٍ صحية واقتصادية للأطفال والنساء وربما يوحي الطفل باستمرار الثورة والنضال فاستمرار النسل يعني استمرار المقاومة، إما الشخوص الشبحية في الخلفية مكانهم وحركتهم تكون غير مفهومة خصوصا وأنَّهم الأكبر حجما من الجميع أكبر حتى من صورة الفدائي الذي كان يجب أن يكون رمزاً للمقاومة بجانب رمز المعاناة المتمثل بالأم والطفل.

وقد جاء أرفاق اسم المؤلف باللقب الأكاديمي في المجموعة وفي رأي الشخصي بانه يؤثر سلبا على المتلقي ولاسيما في المؤلفات الأدبية .

صورة المؤلف على ظهر الغلاف تكاد تكون هي الأكثر حضوراً من البقية، كمتلقٍ لا يمكن أنْ تنتبه لشيء من الغلاف سوى صورة وجه المؤلفة التي تحتل صفحة الغلاف بالكامل وحملت وظيفة اشهارية واغرائية للقارئ، فالصورة بحد ذاتها قد مارست هذه

الوظيفة الاغرائية والتأثيرية على المتلقي، وهو أمر اعتادت عليه الكاتبه في جميع مؤلفتها.

وقد وضعت القاصة عبارة ( مجموعة قصصية ) في الزاوية العليا للغلاف لتعبر عن جنس المجموعة، بعد أن وسمتها بالإحداث في العنوان، والحدث كما هو ملوم يرتبط بالأجناس السردية عموما .

وقد ساد اللون الأصفر المخضر في المجموعة، مع اللون الأسود للعنوان والجنس الأدبي واسم الكاتبة، وهذه الألوان تحمل من الدلالات متعددة، فاللون الأسود هو ملك الألوان نتيجة لامتصاصه كل الألوان ، وهو لا يعطي لونا آخر، ويعد رمز الحزن في معظم المجتمعات، وهو يحمل الغموض بداخله والخفاء، وهي ملامح تتصف بها قضية الجدار العازل، بكل ما يحمل من صفات الحزن والغموض الذي يقف وراء بنائه، وجاء لون الوسط في اللوحة واقصد الجدار بلون رمادي وهو يشير فوضى العالم، كما يمكنه أن يعبر عن الكبت والهدوء والتحفظ، حيث أنَّه لا يحفز النشاط أو التجديد والإثارة.

أمَّا اللون الأصفر المخضر هو الحد الفاصل ما بين الألوان الباردة والألوان الدافئة ويمكن عد هذا اللون دافئاً إذا ازداد لون الأصفر فيه وبالعكس يمكن اعتباره لوناً بارداً إذا قلَّ اللون الأصفر وزاد اللون الأخضر .

ويعد اللون الأصفر من الألوان الجميلة الموجودة في الطبيعة التي تبعث الطاقّة، ويعد لون التفاؤل الذي يتميّز بإيجابيّة بالغة، فهو لون الإبداع والانطلاق إلى الحياة، ويتّصف بأنه لون الاعتزاز بالنّفس، إنّه لون الفكر والتفكّر، هو حقيقةً لون الذكاء وهو ما رادت به القاصة التعبير عن التفاؤل بوجود الأمل فهو يبعث على النورانية والإشراق ...

- **سيميائية العنوانات الداخلية (الفرعية):**

تتكون المجموعة القصصية من 128 صفحة من القطع الصغير، تتوزع على ثلاث عشرة قصة شغلت من المجموعة مساحة من صفحة 15 إلى صفحة100تقدمتها (إضاءة على ظلام ) بصفحتين تحدثت فيه القاصة عن الجدار العازل كمقدمة للتعريف به، ثم تلته القصص، وكل قصة تحمل عنوانا معينا، على النحو الآتي:

من ملاحظة الجدول نجد أن كل لوحة لها طول وإيقاع خاص بها، واضحة، ويكاد الإيقاع الزمني يكون على النحو الآتي:

ق ← ق ← ق ← ق ← ق ← ق ←
ق ← ق ← ق ← ق ← ط ← ق ← ط .

| رقم القصة | العنوان | الحيز الذي تشغله من عدد صفحات المجموعة |
|---|---|---|
| 1 | وبكى الجدار | من 15 إلى 20 أي 5 صفحات |
| 2 | المقبرة | من 21 إلى 24 أي 4 صفحات |
| 3 | حالة أمومة | من 25 إلى 28 أي 4 صفحات |
| 4 | الصديق السري | من 29 إلى 34 أي 6 صفحات |
| 5 | شمس ومطر على جدار واحد | من35 إلى 40 أي 6 صفحات |
| 6 | من أطفأ الشمعة الأخيرة | من 41 إلى 46 أي 6 صفحات |
| 7 | عندما لا يأتي البعيد | من 47 إلى 54 أي 7 صفحات |
| 8 | وادي الصّراخ | 55 إلى 60 أي 6 صفحات |
| 9 | الغروب لا يأتي سرّاً | من 61 إلى 66 أي 6 صفحات |
| 10 | سلالة النّور | من 67 إلى 70أي 4 صفحات |
| 11 | ما قاله الجدار | من 71 إلى 80 أي 10صفحات |
| 12 | البوصلة والأظافر وأفول المطر | من83 إلى 90أي 8 صفحات |
| 13 | خُرافية أبو عرب | من90 إلى 100 أي 11 صفحة |

نلحظ أن القصص القصيرة هي المزيّة الغالبة على المجموعة إحدى عشرة قصة مقابل ثنتان فقط طويلة نوعا ما، وربما يعود ذلك إلى أن القاصة تميل إلى بث مشاعرها المتدفقة وإيصالها إلى القارئ بأقصر الطرق وصولا إلى إثارته وطلب المشاركة والانفعال .

ونلحظ في قصص المجموعة أنَّها تدور حول موضعين أساسيين الأول أعطته عنواناً رئيساً تمثل في "قريباً من الجدار " ويقع تحته أحدى عشرة قصة تدور معظم القصص فيه على ثيمة أساسية وهي الجدار العازل وصمود الشعب الفلسطيني في مواجهة هذا الجدار، هذا الجدار الذي يطلق عليه (جدار الفصل العنصري) (بحسب الفلسطينيين) أو( الحاجز الأمني) حسب الإسرائيليين) هو عبارة عن جدار طويل تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية قرب الخط الأخضر وتقول إنَّه لمنع دخول سكان الضفة الغربية الفلسطينيين إلى الأراضي المحتلة أو المستوطنات الإسرائيلية القريبة من الخط الأخضر بينما يقول الفلسطينيون إنَّه محاولة إسرائيلية لإعاقة حياة السكان الفلسطينيين أو ضم أراضٍ من الضفة الغربية إلى إسرائيل. يتشكل هذا الجدار من سياجات وطرق دوريات، وفي المناطق المأهولة بكثافة مثل منطقة المثلث أو منطقة القدس تم نصب أسوار بدلا من السياجات.

بدأ بناء الجدار في 2002 في ظل انتفاضة الأقصى وفي نهاية عام 2006بلغ طوله 402 كم، ويمر بمسار متعرج حيث يحيط معظم أراضي الضفة الغربية، وفي أماكن معينة، مثل قلقيلية، يشكل معازل، أي مدينة أو مجموعة بلدات محاطة من كل أطرافها تقريبا بالجدار. تعارض السلطة الوطنية الفلسطينية والمنظمات الفلسطينية بناء "جدار الضم والتوسع العنصري."

فركزت هذه القصص على وحشية الموقف وقسوتها، التي عبرت عنها في مقدمة القصة وفي غلافها الخلفي بعبارة شكلت مرتكزا للمجموعة بقولها ((من واجب الجدار الفاصل أن يخجل من نفسه،وأن يبكي –ولو سرّاً– احتجاجاً على طغيانه واشمئزازاً من وجوده!)) أما الجزء الآخر من المجموعة التي أطلقت عليه "بعيدا عن الجدار " فقد تحدث القاصة فيه عن معاناة الإنسان الفلسطيني الذي يعاني النفي بعيداً عن وطنه، بعيداً عن الجدار العازل ولكن النفي بسببه، وما يصاحب ذلك النفي من شعور بالاستلاب والظلم .

بهذا نستطيع القول إنَّ القاصة متأصلة في ثقافتها وروح زمانها، إذ إنَّها تستحضر الروح الشعبية بكل بساطتها وعفويتها، وبطريقة إيحائية؛ لتنهل بذلك من كل الثقافات مهما كانت وتبرهن على مدى التصاقها بالطبقة الشعبية التي تمثل قاعدة الهرم، إذ إنها بالأساس واحدة من أبناء هذا الشعب تجذرت فيها الهموم الفلسطينية وعايشتها، فأفادت بذلك من بعض مضامينها.

تهدف عنوانات القصة القصيرة التي اعتمدتها سناء شعلان إلى إيصال رسائل مشفرة طافحة بالواقعية الدرامية المتأزمة إلى الإنسان الفلسطيني ومجتمعه الذي يعج بالمعاناة والقتل والتشريد والعنف والظلم بكل أشكاله والنكبات المتوالية والنكسات المتكررة بمآسيها ونتائجها الخطيرة والوخيمة، التي تترك آثارها على الإنسان العربي الفلسطيني، فتجعله يواجه العنف الإسرائيلي مفرده بوسائل بسيطة ولكنها تعكس العز والكرامة والشجاعة المنقطعة النظير ،وأصبح الإنسان لا يجد إمامه إلا الموت وسيلة للخلاص من حياة التعسف والاستلاب التي فرضت عليه.

ومعظم عنوانات سناء شعلان في مجموعته ( حدث ذات جدار) تتصف بالغرضيّة المتعلّقة بالمضامين والثّيمات، والعناوين الصيغية المحيلة إلى جوانب الصّياغة ونمط الخطاب، وهي وان كانت ثابتة خالية من الحركة بما ينبئ عن تحرك الأحداث وتجددها وتشعبها، فإنها جاءت منسجمة مع أحداثها الواقعية التي حدثت لأناس من هنا وهناك .

قد شكل الجدار العازل ـ جدار الفصل ـ بؤرة القصص في المجموعة، فكان الصراع واضحاً بين الجدار والإرادة الفلسطينية، بل شكل الجدار رمزاً للقهر والقمع الصهيوني، والعداء الواضح ليس للإنسان العربي فقط ـ الفلسطيني ـ بل للطبيعة بكل معطياتها، هذا الجدار وإنْ حمل هموم الإسرائيليين في الحصول على الأمان والطمأنينة، إلا انه كان يشعرهم بالقلق المستمر والكراهية من قبل الطرف الآخر، هذه الكراهية التي حملها الفلسطيني ؛لأنَّ الجدار عمد إلى شطره إلى نصفين، الشطر المادي من مزارع ومقابر ومقدسات، وشطر معنوي من خلال الابتعاد عن الأحبة والأصحاب والتواصل الإنساني .

**قصص المجموعة :**

ولنا هنا أنْ نقف عند بعض هذه العنوانات الفرعية بعد عرض ثيمة هذه القصص ففي قصة (وبكى الجدار) يحمل العنوان مفارقة قائمة على بكاء الجدار، فالجدار يتكون من أشياء صلبة وغالبا ما يضرب به بالمثل في حياتنا العامة للشخص الذي لا يشعر بالأشياء ولا يتأثر بها أو الأشخاص الذين يتسمون بالقسوة، فتأتي المفارقة لتخرج هذا الجدار من حالة القسوة والصلابة إلى مدلول آخر مغاير فينسب إليه البكاء، ومن المعروف أنَّ البكاء دلالة الحزن والفقدان، فالجدار العازل الذي قسم الفلسطين إلى أجزاء

تخلى عن جبروته وصمته ووحشته ليتحول إلى الإنسانية وقد أشار القران الكريم في قوله إلى هذه الدلالة (( **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون** ))[البقرة: 74] فهم . الصهاينة ـ أشد قسوة من هذا الجدار الذي وان كان صلدا لكنه اكتسب الصفة الإنسانية ليبكي، على نقيض قلوب الاحتلال وقسوتها، ولهذا تحققت أمنية القاصة بان يبكي الجدار حزناً على ما يجري من أحداث قاسية، لذا نجدها قد وضعت عبارتها في مقدمة المجموعة وفي غلافها الخلفي لتعبر عن مدى القسوة التي انتابت الآخرين الذين لا يرون ما يجري في الأرض المحتلة ((من واجب الجدار أن يخجل من نفسه، وأن يبكي ـ ولو سراً ـ احتجاجاً على طغيانه واشمئزازاً من وجوده !))[9].

لقد حملت القصة من الدلالات الكثيرة من خلال أسماء شخصياتها ولد طفلان في اليوم نفسه الذي استشهد به عمها ( نور ) لذا سمتهما الأم باسم (نور) وشاءت الأقدار أن يفرق بينهم الجدار العازل ولم ينجح الصبي (نور) في الوصول إليها على الرغم من كل محاولاته الفاشلة ليكون المصير الموت لكليهما (( كان الجدار يبكي بحرقة على طفلين صغيرين كل منهما يحمل اسم نور، وهو يغشاهما بظله اللّئيم الأسود القابض وكل منهما ميت مسجّى على ناحية مختلفة من جسده الصلد البارد )) [10] ليتهاوى بعد ذلك لندمه على قتل الصغيرين بتجبر وبطش، انه انتقاد ساخر إلى الصمت العربي والعالمي لما يجري من جرائم قتل وإبادة بحق الشعب الفلسطيني وبحق الطفولة من دون أنْ يحرك

أحدهم ساكناً .

أما قصة (المقبرة) فعلى الرغم من فقدان المرأة لأبنائها الثلاثة إلا أنَّها لم تبكيهم بل كانت تفخر بان ينادوها أم الشهداء، وهذا الصبر لم يدم طويلا حين وجدت الصهاينة وهم يقتلعون أشجار الزيتون التي كانت عند قبور الأبناء، واقتلاع الأهل ورميهم خارج المنطقة من أجل بناء الجدار العازل، فوجدت نفسها (( شعثاء غبراء دون غطاء رأسها الأبيض ودون بيتها أو بستانها أو زيتوناتها الوفيرة، أو دون قريتها كاملة )) [11] فشق الجدار القرية إلى نصفين ليحل الفراق بين الأم وبين المقبرة، التي أصبحت خلف الجدار والأسلاك الشائكة والبنادق، لتقرر المقاومة بفأسها وفي حالة من الغضب لتهوي على الجدار، ((وخلفها أجساد تجرّ أكفانها، وتحمل فؤوساً مهددة بها وهي تكاد تنقض على الجدار ) [12] إنَّه الفراق والموت مرة أخرى والسخرية من أشباه الرجال، الذين يقفون مكتوفي الأيدي مما يجري لتنهض امرأة عجوز والشهداء خلفها للوقوف بوجه جدار العزل الظالم .

وفي قصة (حالة أمومة) فمن المعروف أنَّ المرأة ـ الأم ـ تعد رمزاً من رموز الوطن والسكن والاحتماء، وحين تكون هذه الأم مريضة بمرض السرطان ـ الموت ـ البطيء وهي تتلقى العلاج في أحدى العواصم العربية ليزرع الجدار العازل في أرض قريتها، هذا يعني بان الوطن يحتضر ويموت بشكل بطيء ؛لان الاحتلال لا يقل وحشة ووجعاً عن المرض الخبيث ،هذا الموت والعقم كان الثيمة الأكثر ظهوراً في القصة، فألام مصابة بالسرطان في ثديها وهو رمز الخصب والنماء، والأب يقبع في سجون الاحتلال، والابن الذي حُرم من الرضاعة، الذي لجأ إلى حضن عماته الثلاثة العوانس وهي إشارة أيضا إلى حالة الخواء والحرمان،

تجذر هذا الحرمان بعد عودتها لتجد الجدار العازل وقد مزق سكنها لتعيش حالة النفي والغربة الداخلية، وزادت غربتها حين علمت بخروج زوجها من المعتقل، ولكن الجدار العازل حال بينها وبين عائلتها، انه الفراق مرة أخرى، الذي ينتهي بالموت بعد أن حاولت عبور الجدار العازل ((كوموها إلى جانب الجدار وكف يدها متخشبة على ثديها الأيمن الذي كانت تحلم بأن ترضع ابنها منه ولو لمرة واحد في حياتها المهدورة على بوابة الجدار العازل ))[13] وهذا العنوان هو جملة أسمية تتكون من خبر لمبتدأ محذوف مقدّر قد يكون (هذه) أو (هنا) أو (هي) والغاية شد ذهن المتلقي من خلال الحذف لاستقبال الأحداث المتوقعة وغير المتوقعة التي يمكن أن يحملها هذا العنوان المفتوح ،وحالة مضاف وأمومة مضاف إليه.

وقد كان الجدار العازل في قصة ( الصديق السري ) عازلا بين صبي لا يجد من يرافقه بسبب ما يعانيه من تشوهات خلقية وتحديداً شفته الأرنوبية التي كانت من نتائج العدو الصهيوني وهو يلقي بقنابله المسيلة للدموع[14] ، وبين العالم الآخر الفسيح العالم الصهيوني، العالم الذي يكمن فيه علاجه، إنَّ هذا الجدار لم يفصله عن عالم الشفاء فقط ((لولا هذا الجدار العازل لتمكن من أجراء العمليّة المنشودة منذ أشهر طويلة، ولكنّه مصلوب على عذاب يتلخّص في أنّ من يخرج من بيته خلف الجدار الفاصل قد لا يستطيع العودة إليه، إذاً عليه أن يظلّ في انتظار أمله المجنّح المحلّق نحو البعيد))[15] بل اكتسح عالمه الجميل من أشجار الحمضيات، لتكون المقارنة بين القهر والظلم والموت والسلاح والفقر والحرمان، وبين الرفاهية والرخاء والسلام والسعادة في الجانب الصهيوني، وفي هذه الحيرة

تجمع القاصة بين العالمين ولكن عن طريق الطفولة لتكون صداقة بين صاحب الشفة الأرنوبية الذي رفض أبناء جلدته صداقته، وبين صبي صهيوني، في عالمين متحاربين، في صداقة سرية أساسها الحب الطفولي، ليقررا يوما الإعلان عن هذه الصداقة، ولكن النتيجة كانت مأساوية، القتل لكليهما((يسقطان أرضاً في مساحة صغيرة،عينا الصّبي الصّهيونيّ تجولان بوهن في عيني صديقه الفلسطينيّ بحثاً عن ابتسامة مسامحة يهبها له تكفيراً عن هذه الرّصاصات التي اغتصبت فرحه وروحه، وعينا الصّبي الفلسطينيّ تهربان نحو الجدار العازل حيث وجه أمّه مسجوناً خلفه في حزن دائم، يبتسم لوجهها ذي الحزن النّبيل الدّائم وهو يبرق في ذاكرة قلبه، ثم يمضي نحو البعيد حيث لا جدران عازلة أو بنادق غادرة أو صديق صهيونيّ اللّعب منه يعني الموت)) [16] وعبارة الصديق السري تركيب مبتدأ، والسرّي صفة للصديق، وتُرك المبتدأ من دون خبر إذ لم تتم الفائدة مع المبتدأ، لعلها عمدت لفتح آفاق ذهن المتلقي لتخيل الأحداث والأحوال، ودلّ التعريف ب(أل) على تخصيص الدلالة بمعيَّن.

و عنوان (من أطفأ الشمعة الأخيرة)، جملة استفهامية، سؤال يحتاج إلى إجابة، سؤال يتعلق بمن أطفأ الشمعة ولاسيما هي الأخيرة، في دلالة إلى حلول الظلام بعدها، ونحن نعرف أنَّ الشمعة حين تحترق تضيء ما حولها، فهي تضحي لمن حولها من دون أن يشعر بها أحد، تتجه إلى النهاية بهدوء، وهو ما تعكسه القصة (فأم عبد الرحمن) كانت تقضي حياتها من أجل المعتقلين في السجون الإسرائيلية الذين يقبعون خلف ( الجدار العازل ) فهي لديها ثلاثة من أبنائها، هذا الاعتقال دفعها إلى أن تحصل على ترخيص من المنظمات الإنسانية

لتكون أماً لـ 146 معتقلا ومعتقلة (( وكانت أمومتها عونها في هذا الأمر، كانت الشمع الوحيدة في حيا الكثير من المعتقلين، تحفظهم فرداً فرداً ،وتسأل عن أحوالهم، وتعرف ظروفهم ،... فغدت شمعتهم الأخيرة والوحيدة في ظلام معتقلهم القابض على أرواحهم الثائرة، ونالت باستحقاق لقب أم الأسرى )) [17] لقد كانت الشمعة التي تضيء عتمة السجن والمعتقل، وكانوا ينتظرونها بلهفة بالغة، وهي قد عوضت أمومتها المسلوبة بفقدانها أولادها خلف الجدار في المعتقلات، وشاء القدر أن يخرج ابنها الأكبر من المعتقل، ثم يقصى بعدها إلى بيروت، ليحصل لها بعد ذلك على تذكرة للحج ليحقق حلمها في حج بيت الله الحرام، ولكن بدأت تدخل في دوامة صراع بين الذهاب لحلم حياتها وبين مهمتها في إيصال رسائل المعتقلين إلى ذويهم، فتختار الثاني في حالة من الإيثار المطلق ومصداقا لما تحمل من لقب ( أم الأسرى )، وحققت أهدافها على أتم وجه، فطافت (( في أرض وطنها، دقت الأبواب وفق العناوين التي تحفظها عن ظهر قلب، حتى أوصلت الرسائل إلى أصحابها ))[18] لتكون بعد ذلك عند الجدار العازل وبعد انتظار طويل حلقت روحها الطاهرة نحو ربها في مستقرها الأخير بعيدا عن الجدار العازل، بعد أن حجت بطريقتها الخاصة [19] ليكون الجواب عن السؤال في العنوان (من أطفأ الشمعة الأخيرة) انه الجدار العازل والذل الذي يسببه للفلسطينيين، تساؤل عن خاتمة الأمر لحظة انطفاء الشمعة والإبهام الذي ألقى ظلاله على الشخص الذي ختم الحدث.

وقصة(عندما لا يأتي العيد) هو اختيار للعيد وتحديدا عيد الأضحى واختيار هذا العيد من دون غيره من الأعياد، دلالة على ولادة جديدة،

وانتهاء الوجع السرمدي بوجود أضحية تقدم ليأتي معها الخلاص، قد اختارت القاصة شخصية ( أبو هادي) وهي شخصية تعاني من صعوبات في النطق والسمع، وكأنها تشير من طرف خفي إلى الحكومات العربية التي تعجز كل العجز عن تقديم المساعدات للشعب الفلسطيني، وتكتفي بالإشارات والإيماءات كما يكتفي بها ( أبو هادي )، لكن مع هذا العيب انضم إلى فصائل المقاومة الفلسطينية ((في البداية لم تتحمّس الكتائب المسلحّة الفلسطينيّة لفكرة تجنيد رجل أصمّ شبه عاجز عن التّواصل على حدّ تقديرهم،ولكن عندما وضعوه في اختبارات متعدّدة وجدوه مثالاً للشّجاعة والإصرار والعمل والتّضحية والتّكتم،ولذلك عهدوا إليه المرّة تلو الأخرى بالمهمّات الصّعبة ))[20] وقد وجدت هذه الشخصية في ابنها الوحيد ( هادي ) رمزاً للاستمرار في المقاومة وشكل بعدا آخر للحياة، فكان ينقل إليه انتصاراته في الجهاد بعد كل عملية فدائية، وفي أحد الأيام كانت المأساة في يوم العيد وتحديدا في الصلاة سمع الناس صوت انفجار قوي، وهنا تحدث الصدمة إذ(( لم يطل بحثه عن هادي بين الأشلاء المتناثرة، فقد وجد رأسه المتفحّم متدحرجاً قرب الأرجوحة القتيلة،ولم يميّزه إلاّ من عينيه الزّرقاوين))[21] ولم يصدق بذلك لأن رحيله يعني رحيل النضال الفلسطيني، ولكن النضال يستمر بعد عمليته الاستشهادية الأخيرة، ليستمر معها تدفق الطعام للجياع ،(( في المساء تُوزّع الأطعمة المهرّبة على بيوت القرية جميعها،يأكل الأطفال حتى يشبعوا،ويشبع هادي في قبره عندما يأكل أطفال قريته،وفي كلّ مساء يأتي الطّعام المهرّب على ميعاده إلى أطفال القرية، ولا أحد يعرف كيف يصل الطّعام إلى بيوتهم، ولكنّهم يؤمنون

بحكاية" الرّجل الأصمّ حامل الطّعام"))[22] القاصة تحاول أن تنقل معاناة الشعب الفلسطيني وما سببه (الجدار العازل) من أزمات نفسية وحرمان من ابسط الحقوق، والعيش في حياة كريمة، فحرمته من الغذاء والدواء. والجملة هنا ظرفية أسمية، عند: ظرف زمان، وما : حرف مصدري، وتضم حدثاً حدَثَ أو لم يحدث بعد مرتبطاً بعدم قدوم العيد، فما الذي يمكن أن يحدث عندما لا يأتي العيد ،عنواناً يحمل في طياته حالات متنوعة من المشاعر والأحداث.

إما قصة (وادي الصراخ ) فالوادي دائما ما يرتبط بالصوت وتردد الصدى الذي يبعث على الحزن والألم، وما يزيد من مأساة المكان هو التحول الذي أصابه فبعد إن كان يحمل اسم ( وادي الرمان ) تحول إلى ( وادي الصراخ ) بفعل السياسات التي اتخذها الكيان الصهيوني وتقسيمه البلدة إلى نصفين أو بلدتين صغيرتين والفصل التام بينهما .(( فغادرت البلابل الوادي بعد أن خسرت أعشاشها الوارفة في حقول أشجار الرّمان، وحمل الوادي متفجّعاً محسّراً اسم"وادي الصّراخ" حين أصبح ملعباً للأصوات المتناجية عبر الجدار العازل حين حرُمت اللّقاء أو المشاهدة أو الحديث عن قرب))[23] إنَّه الجدار العازل الذي يحول الأرض إلى خواء روحي ويأتي على الأشجار رمز العطاء ليكون الموت معه في كل مرة. ليكسب الوادي اسما آخر، بفعل الفصل بين الأحبة والتواصل عبر الأصوات فقط؛ لتكون هناك علاقة حب بين صالح وهدى تلك الممرضة الملائكية التي قدمت له المساعدة يوميا حين كان مصابا فقد كانت ((طيبتها البيضاء، وقلبها الوردّي، ونفسها المنسرحة دائماً في عون مبذول دائم لكلّ من يطلب عونها لاسيما من المرضى والجرحى الذين تعجّ بهم المستشفى؛ لذلك يراها

صالح حمامة فلسطينيّة بيضاء خُلقت كي تهدل بالتّسبيح للرّب والوطن والإنسان ليل نهار ))[24] هذا الحب كان الجدار العازل سببا في نهايته حين عزل بين صالح وهدى، هو في قريته وهي في المستشفى، وكانت الطريقة الوحيدة للتواصل هو الصراخ في واديه الحزين (( الطّريقة الوحيدة للتّواصل معها كانت عبر الصّراخ في واديه الحزين، تأتي هي كلّ صباح، ويجرّ نفسه منذ الفجر حتى يصل إليها في الموعد المضروب كي يقف مهدوماً على عكازه بالقرب من الجدار الشّائك، ويصرخ بأعلى صوته: "هدى" أنا أحبّكِ...كِ...كِ".))[25] ليكون الحلم تعويضا عن الواقع القاسي الذي خلفه جدار لا يرحم .

وفي قصة (الغروب لا يأتي سراً) يرتبط العنوان ارتباطا مباشراً في العنوان الرئيس فالجدار يحجب أشعة الشمس ويبعث على الوحشة ويزيد المكان عتمة، وقد ارتبط بالحدث الرئيس الذي يقوم على ارتكاب أحد الجنود الإسرائيليين جريمة قتل في وقت الغروب عند الجدار العازل حين قتل أمراه مع ستة من أطفالها، ولكن هذا القتل ظل يطارده ويبعث في نفسه كلما حل وقت الغروب، فالهواجس تلاحقه (( عرضت نفسي على أكثر من طبيب نفسي، ولكن دون فائدة، فلا أحد منهم يستطيع يساعدني، ولا الشمس تتشبث في مكانها في السماء، ولا الغروب يأتي سراً، فلا يوقظ الأرواح الشيطانية التي تتفلت من عوالمها تقصد أن تطارني بعذابها المسوم))[26] .

إنَّ صمود المرأة بوجه الجندي وعدم استسلامها لإذلاله عند نقطة التفتيش جعله يصب غضبه عليها فاطلق حشداً من الرصاصات النزقة فجعلهم يغرقون في بركة دم، (( وغربت الشمس تماماً هروباً من هذا المشهد المروع، وبقيت عينا تلك المرأة

تشخصان نحو السماء، وترفضان أن تُغلقا، وتتوعدان بانتقام))[27]، إنَّ هذا الانتقام تجسد في مشهد يوحي بانتصار الدم الفلسطيني، حين أقدم على قتل زوجته وأطفاله خوفا من إنْ يقتلوا على يد أخرى، قد ارتبط العنوان الفرعي بالرئيس عن طريق الوحشة والظلام والتقييد، فكما أنَّ الجدار يعزل ويطوق ويضغط على الفلسطينيين، كذلك الغروب بوحشته يضغط على الإسرائيليين ؛لذا عمدت القاصة على تقديم الفاعل (الغروب) على(لا يأتي سراً) ربما لأهمية ذكر المقدَّم ثم بيان هيأته

إذ إنَّ الحالة(عدم قدومه سراً)لا تُعطي حدثاً مهماً للمتلقي بقدر معرفة صاحب هذه الحالة (الغروب) فقُدِّم الأهم على المهم.

وقصة (سلالة النور) فلفظ السلالة يرجعنا إلى الأصل الذي خلق منه الإنسان وتاريخه الطويل، وحين تضاف هذه السلالة إلى النور لتدل على الإشراق، وبطل القصة ينتمي إلى هذه السلالة العريقة ((منذ أجيال طويلة رجال أسرته الواحد تلو الآخر يحملون راية الشّريعة الإسلاميّة، ويسمّون الشّيوخ في المدينة، أبوه وجدّه ورجال أسرته جابوا بقاع الوطن الفلسطينيّ، وحملوا لواء الدّين والإحسان والخير والبناء)) [28] كان حلم حياة البطل مع خطيبته الزواج والرحلة إلى الأزهر لإكمال دراسته، وهنا يدخل الجدار العازل ليحول دون حلمه، ليقرر الانتقام ولكن القاصة اختارت الانتحار بدلا من التصدي أو المواجهة ! ((كان يحمل في كيسه الصّغير مسدّساً ومجموعة من القنابل، ويستعيد في ذاكرته تفاصيل خطّته المرسومة للتّسلّل إلى المعهد الدّيني اليهوديّ الدّاخلي، والدّلوف إلى قاعة التّدريس الرّئيسيّة ليوسعهم موتاً، انتقاماً منهم لأصدقائه الذين قتلوهم، ولحلم دراسته الذي

أجهضوه في تبرعمه،ولأرضه التي قسمها الجدار دون رحمة أو وجه حق،ولخطيبته التي يعشقها،ولن يستطيع أن يصطحبها معه إلى الأزهر الشّريف كما وعدها مراراً وتكراراً)) [29] ولم تكن هذه السلالة مقتصرة على بطل القصة فخطيبته لا تقل عنه شأناً ((فليس هناك في أسرتها بيت لم يقدّم شهيداً؛فهي ابنة شهيد،ووالدها كان ابن شهيد،وجدّها ابن شهيد،بل ابنها المنتظر الذي لم تحظَ به من الرّجل الذي تحبّه لا بدّ أنّه سيحلم بالاستشهاد،فما عليها إلاّ أن تكون شهيدة أيضاً؟)) [30] وهنا تقرر تنفيذ عملية انتحارية بحزام ناسف لتلتحق بسلالتها النورانية الطاهرة .

أمَّا قصة (خرافية أبو عرب) فتحكي القصة مأساة الفدائي الفلسطيني الذي يعاقب لمرتين، فبعد أن كان يمثل رمز البطولة والفداء والحب للوطن ((قبل النكسة، طوال عمره وهو فدائي يحمل سلاحه، ويهيم في الجبال، ويقاتل الصهاينة، كان رأسه مطلوباً دائماً للجيش الصهيوني، ولكن أحداً لم يستطع يوماً أن يقبض عليه ))[31] هذا المناضل وقع في الأسر، وحين خرج منه نفي خارج فلسطين ليعاقب مرة أخرى بهذا النفي، فلسطين التي ((باعوها بعلبة سردين ووقّعوا)) [32]

إنَّ النهاية المأساوية لأبي عرب حين ((داسته سيّارة مجهولة في ليلة باردة، وتركته جثة هامدة تهبّ دمها قطعاً متجمدة على قارعة الطّريق))[33] هي إشارة إلى النهاية المأساوية للنضال الفلسطيني، الذي لم يحقق شيئا، واكتفى من جاء بعد هؤلاء الإبطال بان يقتنعوا بفتات الطعام كمساعدات، لذا لم ترض الروائية لهذه البطولة ان تنتهي بنهاية لا تليق بالإبطال أو بالأحرى لا تليق بالنضال الفلسطيني فلجأت إلى الخرافة إلى الخيال لتعوض الواقع، ولما كانت

الخرافة موغلة في القدم، لجأت إلى جدتها لتضع النهاية لأبي عرب فهو ((لم يمت، ولكنه عاد متسللاً إلى فلسطين، وأُستشهد هناك في عملية فدائية بطوليّة، ودفن في مكان سريّ في أعالي جبال الشمال الفلسطيني))[34] إنَّه العلو والارتفاع الذي تستحقه فلسطين ونضالها، فالجبل يرمز إلى المكانة والسمو والثبات والارتفاع .

بعد عرض مجموعة من القصص أود أن أشير إلى دلالات عامة تشترك بها هذه القصص:

الموت المادي والمعنوي والفراق (موت أشجار الزيتون والحمضيات) (رمز الحياة) كان الدلالة المشتركة بين القصص وهي السمة المميزة للجدار في تفريق الأحبة وجلب الموت، فقصة (وبكى الجدار) فراق نور البنت ونور الصبي ثم موتهما معا. وقصة (المقبرة) موت المرأة العجوز وهي تتصدى للصهاينة بفأسها، وموت أشجار الزيتون، أمَّا قصة (حالة أمومة) فالموت كان يرافق عبور الجدار، و (الصديق السري) انتهت بموت الصديقين بمجرد عبور الجدار واللعب تحت ظلال الأشجار، ولم تكن قصة (شمس ومطر على جدار واحد) إلا نهاية مأساوية للحب فكان الموت عند الجدار أيضا لمجموعة من الفلسطينيين . وهكذا بقية القصص سواء التي كانت قرب الجدار أم البعيدة عنه فهي قائمة على الموت والفراق .

## الهوامش:

1السيميوطيقيا والعنونة :.90

2. لسان العرب : مادة (عنون)

3. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: .89

4. الغائب : 27

5. سيمياء العنوان:33

6. **dispositifs publishers . p5** , (شبكة المعلومات الدولية )

7. قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس:52.

8. سيميائية العنوان في "مقام البوح" لـ:عبد الله العيش :.271

9. حدث ذات جدار :.9

10. المصدر نفسه :.19

11. المصدر نفسه:.22

12. المصدر نفسه:.23

13. المصدر نفسه:.28

14. ينظر : المصدر نفسه:.29

15. المصدر نفسه:.30

16. المصدر نفسه:.34

17. المصدر نفسه:.43

18. المصدر نفسه:.44

19ينظر: المصدر نفسه:.45

20. المصدر نفسه:.48

21. المصدر نفسه:.51

22. المصدر نفسه:.53

23. المصدر نفسه:.55

24. المصدر نفسه:.57

25. المصدر نفسه:.60

26. المصدر نفسه:.62

27. المصدر نفسه:.63

28. المصدر نفسه:.67

29. المصدر نفسه:.68

30. المصدر نفسه:.69

31. المصدر نفسه:.92

32. المصدر نفسه:.92

33. المصدر نفسه:.93

34. المصدر نفسه:.94.

المصادر:


- حدث ذات جدار، سناء شعلان، دار أمواج الأردنية، 2016.
- سيمياء العنوان , بسام قطوس،ط1, عمان . الاردن, 2001.
- سيميائية العنوان في "مقام البوح" لـ:عبد الله العيش شادية شقروش: محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 6، 7، نوفمبر، 2000 .
- لسان العرب, ابن منظور, تحقيق: عبد الله علي الكبير , محمد أحمد حسب الله, هاشم محمد الشاذلي , دار المعارف . مصر.د.ت.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة.د. سعيد علوش, الدار البيضاء . المغرب, 1984.
- قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس، الطيب بودربالة: محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء ،والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 15، 16، أبريل ،2002.

# أثر أسلوب الاستخدام في تأدية المعنى

## (دراسة وصفيّة تحليليّة تطبيقيّة)

د. هاشم البشير محمد

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية، جامعة وادي النيل – السودان

## الملخّص

عُنيت هذه الدراسة بأثر أسلوب الاستخدام في تأدية المعنى، معتمدة على المنهج الوصفيّ التحليليّ المستصحب ثلاثية الشكل والوظيفة والسياق.أبانت الدراسة الفرق بين أسلوب التورية وبين أسلوب الاستخدام لرفع الالتباس بينهما في الترابط النصيّ من وجهه الدلالي.أثبتت الدراسة أنَّ وجود المشترك اللفظي ووجود الأضداد في اللغة العربية وثالثهما المجاز كانت جميعاً –في أغلب الأحيان– معيناً لغويّاً يستمد منه أسلوب الاستخدام تأتيه في الجمل العربية. استصحبت الدراسة التطبيق لتثبت بالواقع اللغويّ الموضوعيَّ القواعد النظريّة لأسلوب الاستخدام. فعرضت شواهد من القرآن الكريم موضحة أثر أسلوب الاستخدام في الاختلافات الفقهية والأحكام الشرعية.وكذلك الأمر في شواهد من الحديث النبويّ الشريف

والشعر العربيّ. خلصت الدارســـة إلى نتائج آمل أن تفتح المجال للباحثين لكشـــف المزيـد من خصـــائص أســـلوب الاستخدام وأثره في تأدية المعاني في النصـــوص اللغويّة العربيّة.

## مقدمة

تتصف أساليب التراكيب اللغويّة العربيّة بصفات التنوع والتعدد مما يؤكد سعة مكونات اللغة العربيّة في الإفصاح عن المعاني، ومقتضيات السياقات المختلفة . لذا انصب اهتمام اللغويين العرب قديماً وحديثاً على أهميّة دراسة النص في سياقه الذي قيل فيه، ثم سياقه اللغويّ الذي يمثل العلاقات المعنويّة الدلاليّة بين مفردات الجمل أو الأساليب ؛ إذ لا مزية للمفردة وهي مجردة عن سياقها. ومن جراء هذه القاعدة جاءت تقسيمات البلاغيين ومصطلحاتهم في علم البلاغة العربية كما هو معروف في أنواع مصطلحات(علم البيان) و(علم المعاني) و(علم البديع). فجعلوا لكل علم ميدانه رغم التداخل الذي تفرضه طبيعة اللغة بين هذه الميادين، ألا تراهم قد قسموا علم البديع إلى محسّنات لفظيّة وأخرى معنويّة ؛ فالمعنويّة إذن صلتها واشجة مع علم المعاني بمفهومه العام لا بتحديد مجالات مصطلحه التي حددها البلاغيون . كما أنّ علم المعاني له ارتباط جدُّ وثيق بعلم النحو، وهكذا الحال في كل ما تفرضه طبيعة اللغة على النصوص. فهذه الدراسة التي بين يدينا قد عُنيت بكشف النقاب عن أسلوب بديع من أساليب اللغة العربية في تأدية المعاني هو ما اصطلح البلاغيون على تسميته (الاستخدام). وقد أشاد به أحد أعلامهم وهو صلاح الدين بن الصفديّ (696 ـ764هـ) بقوله: (الاستخدام أشرف فن البديع) [1] ، إلا أنَّ الدراسات الحديثة لم تتوافر لهذا البحث بسبب شح الدراسات القديمة فيه التي تشير إليه أحياناً بطرائق لا تروي غلّة الباحثّ إذ تكتفي بالتعريف وضرب

1 ـ فض الختام،صلاح لدين بن أبيك الصفدي، تح/محمد عايش ،عمان 2014م.

أمثلة قليلة أو توازن بينه وبين التورية كما فعل الصفديّ في كتابه الموسوم(فضُ الختام) وابن قيّم الجوزيّة في كتابه الموسوم (الفوائد المشوّقة) والسيد أحمد الهاشميّ في(جواهر البلاغة). لم أقف على دراسة حديثة أفردت للاستخدام.فوددتُ أن ألقي حجراً في هذه البركة الساكنة وأشرع مسلكاً للباحثين للورود إليها لإعطاء المزيد من مجالها.

**الدراسات السابقة:**

لم أقف على دراسة حديثة تناولت أسلوب الاستخدام وإنما استفادت الدراسة من كتاب (الفوائد المشوّقة) لابن قيم الجوزية (1292م-1342م). وأخرى معاصرة للسيد أحمد الهاشمي (1878م-1943م) في كتابه جواهر البلاغة.

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. بيان أثر أسلوب الاستخدام في تأدية المعنى في الجملة العربية.
2. إظهار مرونة الجملة العربية وأثر ذلك في تنوع المعنى.
3. إثبات ثراء اللغة العربية في مفرداتها وسعة معجمها في استيفاء المعاني.
4. طريقة استعمال أسلوب الاستخدام.
5. بيان الفرق بين التورية والاستخدام.
6. أثر المشترك اللفظي والتضاد في أسلوب الاستخدام.
7. توضيح أثر أسلوب الاستخدام في الاختلافات الفقهية.
8. بعث حيوية هذا الأسلوب وجذب نظر الباحثين إلى ميدانه.

**أهميّة الدراسة:**

إنَّ الأهميّة الحقيقيّة لأية دراسة علميّة تأتي من عاملين هما: العامل الأول يتمثل في الثغرة التي تسدها

الدراسة في إطار الحقل الذي تنتمي إليه، والعامل الثاني هو الإشكال الذي تتصدى إليه. فانطلاقاً من هذين العاملين فإنّ هذه الدراسة تسد ثغرة في الدراسات الأسلوبيّة والبلاغيّة الحديثة لقلّة الدراسات في مجال أسلوب الاستخدام، ثم إنَّ الدراسة تتصدى إلى ميدان فيه الالتباس واحتمالات المعاني الواردة في النصوص، كما نرى الالتباس في الاستخدام والتورية عند بعضهم واحتمالات المعاني في التضاد والمشترك اللفظيّ.

**مشكلة الدراسة:**

تتلخص مشكلة الدراسة في مضمون الأسئلة الآتية:

1.ما هو أسلوب الاستخدام؟ وما فوائده؟ وما أثره في تأدية المعاني؟

2.ما لفرق بين أسلوب الاستخدام وأسلوب التورية؟

3.ما لعلاقة التي تربط بين أسلوب الاستخدام وبين المشترك اللفظي والتضاد؟

4.كيف يستبين أثر أسلوب الاستخدام في الاختلافات الفقهية؟

**منهج الدراسة:**

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يعمد إلى تحليل النصوص مستصحباً ثلاثية الشكل والوظيفة والسياق في نظام الجمل العربية لتأدية المعنى، كما اعتمدت التطبيق لإثبات القواعد النظرية لأسلوب الاستخدام.

**تعريف الاستخدام:**

عرّف القزويني في الإيضاح الاستخدام بقوله : "الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره معناه الآخر أو يراد بأحد ضميرية أحدهما وبالآخر الآخر، فالأول كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم ** رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث، وبضميره النبت.

والثاني: كقول البحتري:

فسقى الغضا والساكنيه وإن همُ ** شبوه بين جوانح وضلوع

أراد بضمير الغضا في قوله (والساكنيه) المكان وفي قوله شبوه :الشجر "[1].

وعرّفه السيد أحمد الهاشميّ في جواهر البلاغة بقوله: "الاستخدام هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير، أو إشارة ،بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما، فالأول كقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ البقرة(185). أُوريد أولاً بالشهر(الهلال)ثم أُعيد الضمير أخيراً بمعنى أيام رمضان..."[2]. ثم ذكر الهاشمي شواهد الإيضاح السابقة ودعمها بشواهد شعريّة ونثريّة أخرى.

أمّا ابن قيّم الجوزيّة في الفوائد المشوّقة فعرّف الاستخدام بقوله: "وهو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج إليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى﴾ النساء (43). والصلاة هاهنا يحتمل أن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة، فاستخدام الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه: ﴿ إلا عابري سبيل﴾ فدلَّ على أنه أراد موضع الصلاة. وقال: ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ فدل على أنه أراد فعل الصلاة...[3].

إنَّ تعريف ابن القيم أكثر اتساعاً وشمولاً لأسلوب الاستخدام في اللّغة العربيّة ويمتاز عن تعريف القزويني

[1] الايضاح في علوم البلاغة،الخطيب القزويني، تحقيق مجدي فتحي السيد ط المكتبة التوفيقية 2002م.ص 225.

*رواية البيت في ديوان البحتري:"شبوه بين جوانح وقلوب"ج1 ص178.

[2] جواهر البلاغة،السيد أحمد الهاشمي ،ط دار إحياء التراث العربي ،بيروت1987م.ص363.

[3] الفوائد المشوقة الى علوم القرآن ،ابن قيم الجوزية،ط مكتبة الهلال 1987م.ص296.

والهاشمي لعدم تقيده بعودة الضمير لأنَّ عودة الضمير خاصة ببعض التراكيب وليست لازمة فتكون من باب الخاص لا من باب العام في أسلوب الاستخدام، فلذا اعتمدت في هذا البحث تعريف ابن القيم لشموله وموضوعيته.

يقتضي المقام أن نوازن بين التورية والاستخدام ونكشف كذلك عن العلاقة بين المشترك اللفظي والتضاد وبين الاستخدام وذلك لرفع الالتباس المحتمل بين هذه المصطلحات.

**(أ) الفرق بين التورية والاستخدام:**

إنَّ التورية والاستخدام هما من المحسنات المعنويّة في تقسيم علماء البلاغة ولكنهما مختلفان.فقد عرّفوا التورية بأنّها: "أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما..."[1]. وعرفها الهاشميّ بقوله: "هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان؛أحدهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود ودلالة اللفظ عليه خفيّة فيتوهم السامع : أنّه يريد المعنى القريب، وهو إنّما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره وتستره عن غير المستيقظ الفطن، كقوله تعالى:﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ سورة الانعام 60.أراد بقوله (جرحتم) معناه البعيد هو ارتكاب الذنوب ولأجل هذا سُميت تورية (إيهاماً وتخييلاً)"[2].

ومن شواهد التورية نحو قوله:

وأظهرت فينا من سمائك سنة **

فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان. والبعيد: الفرض ؛ معناه العطاء. والندب معناه الرجل

[1] الايضاح في علوم البلاغةالخطيب القزويني ص224.

[2] جواهر البلاغة،السيد أحمد الهاشمي ص363.

السريع في قضاء الحوائج"[1].

إذن التورية لفظ مفرد له في سياق الجملة معنيان. أحدهما وهو القريب المتبادر للذهن غير مقصود والثاني وهو البعيد الذي يحتاج إلى إعمال الفكر هو المقصود من السياق، فالمعنى المتبادر للذهن أولاً متروك، فهذا هو أبرز فرق بين التورية والاستخدام ؛ إذ إنّ في أسلوب الاستخدام المعنيين مطلوبين ومحتملين ويحتاج إليهما فليس أحدهما متروك والآخر مطلوب كما في التورية.

كما أن الغموض والإيهام في التورية بيّن ومقصود ؛ لذلك سميت تورية لغة من ورّيت الشيء: إذا سترته وأخفيته. وقد سمّاها أحد البلاغيين (الإيهام)[2]. أمّا في أسلوب الاستخدام فالوضوح بيّن بين المعنيين المكشوفين والمطلوبين. وليس أدلّ على ذلك من عود الضمير للترجيح أو الإيضاح للمعنى المقصود من السياق ثم القرائن الحالية والسياقية هي التي تبيّن المعنى أو تقوي دلالة أحدهما وتزيده إيضاحاً.

قسم البلاغيون التورية إلى أربعة أقسام : مجردة، ومرشحة، ومبينة، ومهيأة. وهذا مفصل في كتب البلاغيين . أمّا أسلوب الاستخدام فيخلو من هذه التقسيمات المفصّلة بسبب وضوحه وسهولة تأتيه. إلا إنّ التورية والاستخدام يتشابهان في أنهما غالباً في اللفظ المفرد واختلاف المعاني عليه.

**(ب)ما العلاقة بين أسلوب الاستخدام والمشترك اللفظي والتضاد؟**

يُجمع أكثر اللغويين العرب على وجود المشترك اللفظي في اللغة العربية، يقول أحمد مختار عمر: "بل القصد إجماعهم على وجوده"[3]. فما هو المشترك اللفظيّ ؟. قال سيبويه: "اعلم

[1] المرجع السابق ص263.

[2] الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ص224.

[3] علم الدلالة ،أحمد مختار عمر، ط عالم الكتب القاهرة 1993م.ص 156.

أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين..."[1].

وقال ابن فارس: "اتفاق اللفظ واختلاف المعنى كقولنا: عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان" [2]. وعرفه السيوطي في المزهر بقوله: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة"[3]. وقد خص جماعة من علماء العربية المشترك اللفظيّ بالدراسة في القديم والحديث كالمبرد قديماً ومحمد تقي الحكيم وأحمد مختار عمر حديثاً، وغيرهم الكثير.

فالمشترك اللفظيّ هو نقيض الترادف الذي تتعدد فيه المفردات الدالة على الشيء الواحد، والمشترك اللفظيّ لفظة أو مفردة واحدة تدل على معانٍ مختلفة ومتعددة على سبيل الحقيقة أو المجاز.مثل كلمة (العين، والخال، والحوب) وغيرها كثير.

أما التضاد فهو نوع من المشترك اللفظيّ فكل تضاد يمكن أن تحسبه مشتركاً لفظياً ولكن ليس كل مشترك لفظيّ هو تضاد .ويعرفه ربحي كمال: "اللفظ الدال على المعنى وضده" ومن أمثلته: الأزر: القوة أو الضعف، والبسل: الحلال أوالحرام،الحميم: الماء البارد أو الحار، المولى: العبد أو السيد، الرغيب: الشجاع أو الجبان، الجون: الأبيض أو الأسود، الصريم: الليل أو النهار..."[4].

وكذلك حظي التضاد بالكثير من

[1] الكتاب، سيبويه ـ تح عبد السلام محمد هارون ،عالم الكتب القاهرة 1983م.ج1 ص24.

[2] الصاحبي في فقه اللغة،أحمد بن فارس،تح مصطفى الشويمي، بيروت 1963م.ص201.

[3] المزهر،جلال الدين السيوطي ،ط2 دار إحياء الكتب العربية، بيروت، بدون تاريخ ج1ص396.

[4] التضاد في ضوء اللغات الساميةربحي كمال ،جامعة بيروت 1972م د ط ص97.

اهتمامات الباحثين قديماً وحديثاً.لعل أشهرها وأنفسها كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم المشهور بابن الأنباريّ. وقد أنكر وجود التضاد بعض اللغويين إلا أنّ الأكثرية تقرُّ بوجوده في لغة العرب.

فالمشترك اللفظيّ والتضاد يشكلان ينبوعاً لغويّاً ثراً لأسلوب الاستخدام ؛فيكون اللفظ المذكور مراداً به المعنيين اللذين يدل عليهما المشترك اللفظيّ أو المعنيين المتضادين اللذين دلّ عليهما اللفظ في التضاد.

فمن المشترك اللفظي الذي يرد في أسلوب الاستخدام قول الشاعر:

وللغزالة شيء من تلفته** ونورها من ضيا خديه مكتسب[1]

أراد بالغزالة الحيوان المعروف وبضميرها في قوله (نورها) الغزالة بمعنى: الشمس.

ومن التضاد المستخدم كلمة (فوق)التي تستعمل في ضد معناها الأصليّ، فتأتي بمعنى دون كما في قوله تعالى: ﴿إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ البقرة(26) أي فما دونها.

كما تدل على معناها الأصلي إذ يكون تفسير الآية ما يفوق الذبابة حقارة[2].

وأعرض إليك شواهد أسلوب الاستخدام من القرآن الكريم والحديث النبوي لنقف على أثر هذا الأسلوب في اختلافات الفقهاء.

**أولاً:شواهد قرآنيّة:**

1/الاستخدام في دلالة (صعيد):في قولة تعالى: ﴿ فتيمموا صعيدا طيباً ﴾ النساء(43).

اختلف العلماء في الشيء الذي يصح التيمم به فذهب أبو حنيفة ومالك

[1] جواهر البلاغة،السيد أحمد الهاشميص64.

[2] فقه اللغة،علي عبد الواحد وافي،ط8 دار النهضة مصر بدون تاريخ.

ص196.

إلى أنه يصح بكل ما هو من جنس وجه الأرض وما هو متولد منها سواء أكان عليه تراب أم لم يكن. وذهب آخرون منهم الشافعي إلى أنّه لا يصح إلا بالتراب[1]. وسبب اختلافهم مفهوم لفظ (صعيد)لأنّه اسم مشترك له مدلولان أو معنيان هما: (دلالته على وجه الأرض عامة ودلالته على التراب فقط.وقد تمسك كلٌ بحجته لفهمه من دلالة لفظ(صعيد)وكلاهما صحيح ومعتمد، فيكون هذا من باب الاستخدام كما علمت.

2/الاستخدام في دلالة(عفا): في قوله تعالى: ﴿فمن عُفِي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءٌ بإحسان﴾البقرة 178.

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الحديث في بيان الواجب في القتل العمد،أهو القصاص أم الدية؟ وقد اختلفت كلمة الفقهاء في هذا الحكم بسبب أنّ لفظ (عُفِي) يرد في اللغة العربية لعدة معان: منها التجاوز عن الذنب، ومنها: الطمس والمحو، فيقال:عفت الرياح آثار الديار، ومنها السهولة، يقال: أدرك الأمر عفواً، أي:سهلاً[2]

ومنها: الدلالة على ما يبقى من الشيء مثل قوله تعالى: ﴿ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ البقرة219

أي الزائد عن حاجتهم. أما لفظ (عُفِي)في الآية المبينة للحكم في القتل العمد محتملة لمعنيين هما:الأول العطاء؛ لأنّه يقال في العربية:عفا المال أي أعطاه.والثاني الإسقاط ؛ لأنّه يقال:عفا عن حقه إذا أسقطه.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك على

[1] بداية المجتهد ونهايةالمقتصد،محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد،تح رضوان جامع رضوان،مكتبة الإيمان القاهر،1997م،ص69.

[2] لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر – بيروت 1956م،مادة(عفا).

مذهبين وجعلوا حجتهم الدلالة اللغويّة لكلمة (عُفِي). فأصحاب المذهب الأول ذهبوا إلى أنّ : المراد أُسقط أو تُرك، ويكون المقصود باسم الموصول(مَنْ)هو القاتل، و(عُفِي) تتضمن عافياً هو ولي الدم والأخ هو المقتول وكلمة شيء هو الدم الذي يُعْفَى عنه ويرجع إلى أخذ الدية . قال القرطبيّ : "القاتل إذا عفا عنه ولي المقتول عن الدم مقتوله وأسقط القصاص فإنّه يأخذ الدية ويتبع بالمعروف،ويؤدي إليه القاتل بإحسان"[1].

وذكر القرطبيّ أنّ هذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة من العلماء [2]. أما أصحاب المذهب الثاني: فذهبوا إلى أن المراد بعُفي أُعطي وبُذل.قال أبو حنيفة: "إنّ معنى (عُفِي) بذل، والعفو في اللغة: البذلُ..."[3]. ومن جراء هذا ذهب فريق منهم إلى أنّ الواجب على القاتل القصاص لا غير فإذا عفا ولي المقتول ورضي بالدية، فإنّ القاتل غير ملزم بأدائها، وذهب إلى هذا أبو حنيفة والأوزاعيّ والثوريّ.

وذهب فريق آخر إلى أنّ الواجب القصاص أو الدية وأيّهما اختار الوليّ أُلزم القاتل به، وروى هذا عن الشافعي وأحمد وداود الظاهريّ[4]. والمذهبان معمول بهما ومعتمدان في أحكام التشريع الإسلامي. ولكننا إذا أمعنا النظر وأخذنا بنظرية التضام اللغوي والعلة النحوية يكون الأرجح في (عفا) في سياق هذه الآية هو البذل أو العطاء لأنّ التضام المعهود للفعل (عفا) أن تعقبه اللام أو حرف الجر(عن) ولكل دلالته في موضعه وسياقه وعلته النحوية، فإذا تعدى هذا الفعل (عفا) باللام فيقال (عُفي له) أي بذل له أو أُعطي له فتكون عُفي أُشربت معنى

[1] الجامع لأحكام القرآن،أبو عبد الله القرطبي ،مكتبة الإيمان القاهرة 2006م ج1 ص555.

[2] المصدر السابق ص555.

[3] أحكام القرآن ،ابن العربي،تح محمد علي البيجاوي ط عيسى الحلبي 1997م ج1ص46.

[4] المصدر السابق ج1ص47.

أُعطي أي تضمنته، أما إذا قصد بعفي الأسقاط والترك تعدى هذا الفعل (عُفِي) بحرف الجر(عن) قال ابن السكيت:"عفوت عن الرجل،وهو عفو عن الذنب"[1].

3/الاستخدام في دلالة (لمس): قال تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً﴾.النساء43

ذهب فريق من الفقهاء إلى أنّ من لمس امرأة من غير محارمه ينتقض منه الوضوء،وهذا الفريق من فقهائنا فسروا اللمس بمس البشرة،ومن هؤلاء ابن مسعود وابن عمر وإليه ذهب الشافعي.[2] وذهب فريق آخر إلى أن لمسها لا ينقض الوضوء ؛ لأنّهم فسروا اللمس بالجماع ومنهم ابن عباس وبعض التابعين وإليه ذهب أبو حنيفة[3]. والمذهبان معتمدان عند المسلمين إلا أنّ بعضهم قد يرجح رأياً على الآخر.

4/الاستخدام في دلالة (وراء وقُرء): قال ابن القيم: "ومنه (أي الاستخدام) في الكتاب العزيز كثير.ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾.الكهف79.يحتمل أن يكون قد أراد وراءهم ـ أي في طلبهم ـ ويحتمل أن يكون أراد أمامهم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ البقرة228. والقرء الحيض والقرء أيضاً الطهر واللفظ يحتمل المعنيين فأعرفه"[4].

**ثالثا: شواهد من الحديث النبوي:**

(أ)"إن الله خلق آدم على صورته" هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد،

[1] اصلاح المنطق،ابن السكيت،تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون،ط دار المعارف دون تاريخ.ص533.

[2] الجامع لأحكام القرآن،أبو عبد الله القرطبي ج3 ص363.

[3] السابق ص365..

[4] الفوائد المشوقة، ابن قيم الجوزية ص297.

وذكره العجلونيّ في (كشف الخفاء)[1].

وقد اختلف في تفسير هذا الحديث بسبب استخدام كلمة صورته، فذكر شرّاح الحديث ثلاثة وجوه لمعنى قوله: (صورته) هي:

1/أن تكون الهاء في صورته ضميراً لآدم عليه السلام، وأفرده بخصوصية لم تكن لغيره، والمعنى أوجده على الصورة التي كان عليها من غير أن ينقله من صورة الي أخرى، كما يُفعل ببقية البشر من تقلبهم من نطفة إلى علقة ثم مضغة، أما آدم فخُلق على صورته التي شوهد فيها[2].

2/أن يكون المعنى أنّ الله لم يزد ولم ينقص من صورة آدم التي خلق عليها عندما هبط إلى الأرض أي: لم يزد في طوله ولا عرضه فهو على صورته التي كان عليها قبل الهبوط إلى الأرض.

3/أن تكون الهاء لآدم على معنى أنّ الصورة كلها لله تعالى فهو الذي أوجدها وخلقها ثم لضرب من التكريم والتخصيص نسبت لآدم، كما يقال: شهر الله في شهر الصيام،وكما قالوا: ناقة الله وبيت الله فتكون النسبة على هذا الوجه.

قال الدكتور مهدي عرار: "وقد توهم في مرجع الضمير فقيل:إنّه عائد على الله عزّ وجلّ. وقد ركب أصحاب هذا الرأي قبيحاً من الغلط والنظر..."[3].

ولكن الصحيح ما ذهب إليه شُرّاح الحديث من أنّ الضمير يعود إلى آدم عليه السلام ،ثم اختلفوا في تفسيره على نحو ما قدمنا.وقد كشف ابن فورك السياق الذي قيل فيه الحديث فقال ابن فورك: "إنّ هذا الخبر خرج على سبب، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل يضرب ابنه أو عبده في وجهه

[1] المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،نشره أ.ي. وينسنك ،مكتبة بريل . ليدن 1936م.ج3 ص438.
وينظر كذلك كشف الخفاء لإسماعيل بن محمد العجلوني، ط5 ،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م،ج2 ص455.

[2] ظاهرة اللبس في العربية، مهدي أسعد عرار ص357.

[3] المرجع السابق ص 357.

لطماً ويقول: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك. فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه، فإنَّ الله خلق آدم على صورته ".كأنّه ينبّه على أنّك قد سببت آدم ومَن ولد مبالغه في الردع له عن مثله"[1].

فنجد أثر أسلوب الاستخدام في فهم شُرّاح الحديث قد فتح باب التأويل أي تأويل معنى صورته على وجوه عدة،كلها محتملة كما رأيت إلا أنّ ابن فورك قد حسم الخلاف بإرجاع الضمير إلى صورة وجه الإنسان التي تشبه صوره وجه آدم ومن ولد؛ هذا إذا صحت رواية ابن فورك وسياقها أمّا إذا لم تصح فاحتمالات معاني شرّاح الحديث واردة.

(ب)"ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن"[2].هذا الحديث رواه البخاري وأبو داود والدارميّ وأحمد، كما جاء في المعجم المفهرس.

اختلف شرّاح هذا الحديث في دلالة (لم يتغنَّ) على وجوه ملخصها ما يلي:

1/أن يكون معنى:لم يتغنّ، أي لم يستغنِ، ومنه قول الأعشى:

كلانا غني عن أخيه حياته***ونحن إذا متنا أشد تغانيا[3]

والاستغناء المقصود في الحديث هو عدم الاستكثار من الدنيا. وقد روى أنّ سياق هذا الحديث جاء في خبر سعد بن أبي وقاص عندما دخل عليه بعض من رأى في بيته متاعاً رثاً فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن"[4].أي لم يستكثر من الدنيا استغناء بالقرآن.

[1] مشكل الحديث وبيانه،أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك،تح موسى علي،مطبعة حسان،القاهرة بدون تاريخ.ص46.

[2] المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.ج6 ص16.

[3] ديوان الأعشى،(ميمون بن قيس، شرح محمد محمود حسين ،بيروت 1983م.ص196.

[4] غريب الحديث،أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ،دار الكتب بيروت 1986م.ص298.

وكذلك يحتمل أن يكون الاستغناء الاكتفاء بكتاب الله آمراً وناهياً.

2/أن يكون معنى (لم يتغنَّ بالقرآن) لم يحسّن صوته به، والعرب تسمي الأصوات إذا خرجت في نظام موقّع ومقاطع متلائمة مع حسن الصوت سمّت هذا غناءً ومنه قول النابغة:

بكاء حمامة تدعو هديلاً**مرجعةً على فنن تغنّي[1]

فالمقصود بالتّغني بالقرآن تحسين الصوت، ولكن المذموم من ذلك هو التمديد وتمطيط الحروف حتى يزيد منها ما ليس منها بحيث يجعل الألف الواحد ألفات عدة ؛ فيخرج بذلك إلى فساد المعنى مع الزيادة في اللفظ.

3/أن يكون معنى(لم يتغنّ بالقرآن)أي: لم يتلذذ بسماعه كما يتلذذ صاحب الملاهي بالأغاني فمن لم يقم القرآن في التأثير فيه والتلذذ به المكان الذي يقيم فيه أهل الملاهي أغانيهم المؤثرة في نفوسهم؛ فمن لا يفعل ذلك فليست أخلاقه كأخلاقنا.

فكل هذه الوجوه محتملة لدلالة لم يتغنَّ. إلا أنّ الدكتور مهدي أسعد عرار قد ذهب إلى ترجيح الرأي الأول أي الاستغناء بالقرآن وإن لم ينكر الرأيين الأخيرين، فقال: "هذا الحديث وذكره رثاثة المتاع والمال تنبيء عن أن مراده الاستغناء بالمال القليل.والحق أنّني أميل إلى هذا الرأي جانحاً إلى استشفاف المعنى من سياقه الذي قيل فيه، ولا ينفي هذا أنّ لترجيع الصوت وتحزينه فضلاً، ولربما كان في سياق آخر كقوله صلى الله عليه وسلم: "زيّنوا القرآن بأصواتكم"[2]

فالدلالات الثلاث لاستخدام كلمة (يتغنى) محتملة كما رأيت إلا أنّ رأى الدكتور مهدي أسعد عرار في ترجيح

[1] ديوان النابغة الذبياني،تح محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف مصر 1977م،ص136.

[2] ظاهرة اللبس في العربية ، مهدي أسعد عرار ص358 ،وينظر: غريب الحديث ، للهروي ج1 ص355.

دلالة الاستغناء واعتماده على السياق فهو رأي اعتمد فيه على منهج علمي يقوم على أثر السياق خاصة سياق الموقف من دلالة الألفاظ كما هو معلوم في علم اللغة المعاصر.

(ج)"هذا جبلٌ يحبنا ونحبه"[1]

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد كما جاء في المعجم المفهرس . والجبل المقصود هو جبل أحد. فقد اهتم شُرّاح هذا الحديث بتفسير معنى (يحبنا). لأنّ المحبة من الإنسان للجبل واردة وصحيحة ولكن كيف يحبنا الجبل. فجاءت آراء شُرّاح الحديث في ثلاثة وجوه:

1/أن يكون المعنى يحبنا أهله ونحب أهله (أي أهل المدينة) فحذف المضاف وهو أهل وأقام المضاف إليه مكانه. وهذا جائز في العربية وفي القرآن الكريم قوله تعالى: "وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم" البقرة 93. أي:حب العجل، أي:أشربوا حب العجل، فحذف المضاف [2].

2/أن يكون المعنى، ولو كان هذا الجبل يعقل لأحبنا، فاستخدم المجاز هنا للإخبار عن المحبة على عادة العرب في الإخبار عن محبة الديار وارتباطهم بالأمكنة فيخبرون عنها بالمحبة كما يخبّر عن من يعقل. ومن هذا ما يروى عن الشاعر قيس بن الملوّح أنّه قال يخاطب جبل التّوباد بنجد:

وأجهشت للتّوباد حين رأيته ** وكبّر
للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما عرفته **
ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له:أين الذين عهدتّهم **

[1] المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ج1 ص318.

[2] مفاتيح الغيب،محمد بن عمر الرازي،دار الفكر بيروت 1995م، ج2 ص236.

بجزعك في خفض وطيب زمانِ
فقال:مضوا واستودعوني بلادهم**
ومن ذا الذي يبقى على الحدثان[1]

فخاطب الجبل مخاطبة من يعقل، وكذلك خاطبه الجبل مخاطبة من يعقل، كل هذا من باب المجاز الذي درجت عليه العرب في إيضاح المحبة للأمكنة. وعلى هذا جاء الحديث النبوي على منهج العربية في التجوّز.

3/أن يكون المعنى: أنّ هذا الجبل جبل الجنّة،ويحبنا أي يقرب منا ،فجعل القرب محبة على جهة المزاوجة. يقول علماء البلاغة كما في قوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه" البقرة194 فسمى الرد على المعتدى اعتداءً بينه وبين قوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم". وكذلك الحال في الحديث، فقوله (نحبه) متضمن لمعنى نميل إليه للقرب منه، وهو يميل إلى قربنا، وهذا كذلك من باب التجوز.[2] فالوجوه الثلاثة محتملة ومقبولة لغوياً.

**ثالثاً: شواهد من الشعر**: ذكر ابن قيّم الجوزيّة بعضاً من الشواهد الشعرية للاستدلال على أسلوب الاستخدام فقال: "وكما قال الشيخ أبو العلاء:

وفقيه أفكاره شدن للنعما * ن ما لم يشده شعر زياد

يحتمل معنيين:أحدهما أن يكون النعمان بن زياد بن المنذر الملك، والآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه، فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال: "شدن للنعمان " يعني أبا حنيفة رضي الله عنه وقال شعر زياد يعني النعمان بن المنذر؛ لأنّ زياداً هو النابغة مدح النعمان"[3].

ثم استشهد بقول أبي تمام:

[1] ديوان قيس بن الملوح،دار الكتب،بيروت 1990م ص64.

[2] كتاب المجالس،أبو عبد الله الخطيب،تح غانم قدوري ،عمان الأردن 2002م ، ص362.

[3] الفوائد المشوقة الى علوم القرآن ،ابن قيم الجوزية،ط مكتبة الهلال 1987م.

وإذا مشت تركت بصدرك ضعف ما**بحليّها من شدة الوسواس

لأنّ الوسواس يحتمل معنيين وهو بلابل الصدر وصوت الحليّ فاستخدم المعنيين بقوله:تركت بصدرك يعني:البلابل ،وبقوله:ضعف ما بحليها يعني صوت الحليّ..."[1].

وذكر السيد أحمد الهاشمي شواهد شعرية للاستخدام مثل قول الشاعر:

إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتي**فلا أشبهته راحتي بالتكرم

ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى**إذا أنا لم أغضضه عن رأي محرم

فاستخدم كلمة (الحيا) لمعنيين هما المطر وخُلق الحياء وكذلك استخدام كلمة (الجفن) لمعنيين هما: الترس وجفن العين. وكذلك ذكر الهاشمي قول الآخر:

رحلتم بالغداة فبت شوقاً **
أسائل عنكم في كل نادِ
أراعي النجم في سيري إليكم **
ويرعاه من البيدا جوادي[2]

فاستخدم كلمة (النجم) بمعنيين هما: بمعنى كواكب السماء و"النجم من النبات وهو ما نجم على غير ساق"[3].علماً بأن السيد أحمد الهاشمي لم يقم بشرحها وما تقدم من شرحٍ فهو للباحث.ومن الاستخدام ما أراه في قول أحمد شوقي: وسلا مصر:

هل سلا القلب عنها **
أو أسا جرحه الزمان المؤسي
كلما مرّت الليالي عليه رقَّ **
والعهد في الليالي تقسّي[4].

فاستخدم شوقي كلمة (رقّ) لوصف قلبه الحزين المشتاق لمصر. وكان

[1] المرجع السابق ص 297.
[2] جواهر البلاغة ص365.
[3] القاموس المحيط،الفيروزآبادي ،تح أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد ،دار الحديث ،القاهرة 2008م مادة (نجم) ص1586.
[4] الشوقيات،أحمد شوقي ،دار العودة بيروت 1988م.ج1 ص45.

شوقي منفياً إلى بلاد الأندلس. فقوله: (رقَّ) تحتمل معنيين الأول:بمعنى ضعف ضد ثخن وغلظ وقسا، فإن الأيام والليالي كأنما تأكله وتأتي عليه فتضعف قلبه حسياً،والمعنى الثاني: رقّ بمعنى عطف قلبه، وحنَّ وازداد شوقاً كلما مرت عليه الليالي فالرّقة هنا معنوية. فاللفظان يحتملان المقصود؛ وقد برع شوقي وأوفى باستخدامه في هذا السياق كلمة(رقَّ). وكذلك نجد أسلوب الاستخدام عند الشاعر السوداني أحمد محمد صالح في قصيدته (ثورة اكتوبر1964م) يشير إلى الشهيد الطالب أحمد القرشيّ طه قال:

كلهم كان يوم نادى المنادي **
(قرشيّاً)مظفراً ميمونا
وإذا الشعب قام يطلب حقاً **
داس جلاده ودكّ الحصونا [1]

فإذا نظرنا نجد أنّ الشاعر استخدم كلمة (قرشيّ) لمعنيين: الأول: اسم القرشيّ أحد شهداء الثورة. والثاني: القرشيّ نسبة إلى قبيلة قريش التي خرج منها أبطال المسلمين الأوائل الذين اشتهروا بالأقدام والفداء في سبيل الإسلام. فالمعنيان مقصودان؛ لربط الأمجاد السودانية الوطنية بأمجاد المسلمين الأوائل. وقد وفّق الشاعر أيما توفيق.

**خاتمة:**

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفيّ في استقراء أسلوب الاستخدام وأثره في تأدية المعنى، معتمدة كذلك على رؤية ابن قيّم الجوزيّة الشاملة لمفهوم الاستخدام، هذه الرؤية التي تحتمها طبيعة اللغة العربية في الاتساع والمجاز ومرونة الجملة العربيّة، وقدرتها على الإفصاح والإيضاح. كشفت الدراسة عن الفروق الجوهرية بين أسلوب التورية وبين أسلوب الاستخدام

[1] مع الأحرار (ديوان شعر)،أحمد محمد صالح،بيروت 1969م.ص68.

ورفعت بذلك أسباب اللبس والخلط بينهما ذاك اللبس الذي يقع فيه الدارسون لهذين الفنين.كما أو ضحت الدراسة العلاقة بين أسلوب الاستخدام وبين المشترك اللفظيّ والتضاد،و أبانت بالشواهد أنّ المشترك اللفظيّ والتضاد يكونان –في أحيان كثيرة– المعين الثّر لورود أسلوب الاستخدام وتزويده بالمفردات التي تتناسب مع نسق الاستخدام ونظامه في تأدية المعاني.فلا شكّ أنّ هذا يعدّ من فوائد المشترك اللفظيّ وفوائد التضاد. تناولت الدراسة شواهد قرآنيّة وأخرى من الحديث النبويّ لبيان أثر أسلوب الاستخدام في اختلافات الفقهاء في الأحكام الشرعية، ثم حلّلت الدراسة بعضاً من النصوص الشعريّة لتجلية محاسن أسلوب الاستخدام في لغة الشعر،لاسيما إذا كان الشاعر ذا مقدرات فنيّة وابتكاريّة في توليد المعاني من المفردات المتضامة في الجمل الشعريّة وأثرها في تأدية المعاني التي قصد الشاعر بيانها.

**وقد خلصت الدراسة إلى نتائج هي:**

1.أنّ فائدة أسلوب الاستخدام الاختصار وجمع معنيين مرادين أو أكثر في لفظ واحد.

2.كثيراً ما تلتبس التورية بالاستخدام ولرفع هذا الالتباس أوضحت الدراسة أنّ التورية تستعمل أحد المعنيين وتهمل الآخر، أمّا في الاستخدام فالمعنيان مقصودان بقرينتين.

3.أثبتت هذه الدراسة بالشواهد أنّ التعريف الذي اثبته ابن قيّم الجوزيّة أشمل من تعريف القزوينيّ والهاشميّ لأسلوب الاستخدام وذلك لاتساقه وواقعيته في مجيء أسلوب الاستخدام.

4.إنّ الغموض والإبهام في التورية، وأنّ الوضوح والإبانة في الاستخدام.

5. الاستخدام والتورية كلاهما من المحسنات المعنويّة، وكلاهما لفظ مقصود. ويشتركان في أنّ كلاً منهما يوحي بمعنيين أولهما المتبادر في الذهن في التورية مهمل، ولكن في الاستخدام كلا المعنيين مراد.

6.أوضحت الدراسة أنّ المشترك اللفظيّ والتضاد يشكلان ينبوعاً لغويّاً يمتاح منه أسلوب الاستخدام.

7.أثبتت الدراسة بالشواهد التطبيقية أثر أسلوب الاستخدام في اختلاف الآراء الفقهية في فهم النصوص الشرعيّة.

8.أكدت الدراسة أنّ السياق والقرائن اللغويّة والحاليّة والمقاميّة هي التي قد ترجح أو تقوي معنى على آخر ولا تنكر صحة الرأي المرجوح.

9.أثبتت الدراسة أنّ استعمال أسلوب الاستخدام يحتاج إلى مقدرات لغوية وفكرية وشاعريّة رفيعة حتى يوفق الشاعر في استخدام اللفظ كما رأينا هذا عند المعريّ وشوقيّ وأحمد محمد صالح.

10.أثبتت الدراسة علميّاً صحة مقولة:"القرآن حمال أوجه".

11.إنّ العربية لغة مجاز، فلذا يجد أسلوب الاستخدام معجماً ثراً يمتاح منه فيسهل تأتيه واختياره.

## المصادر و المراجع:


1.القرآن الكريم

2.أحكام القرآن ،ابن العربي،تح محمد علي البيجاوي ط عيسى الحلبي 1997م.

3.إصلاح المنطق،ابن السكيت، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون،ط دار المعارف دون تاريخ.

4.الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني، تح مجدي فتحي السيد ط المكتبة التوفيقية 2002م.

5.بداية المجتهد ونهاية المقتصد،محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، تح رضوان جامع رضوان، مكتبو الإيمان، القاهرة،1997م.

6.التضاد في ضوء اللغات السامية،ربحي كمال ،جامعة بيروت 1972م.

7.الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي ،مكتبة الإيمان، القاهرة 2006م.

8.جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت دون تاريخ.

9.ديوان الأعشى، (ميمون بن قيس)، شرح محمد محمود حسين ،بيروت 1983م.

10.ديوان قيس بن الملوح،دار الكتب،بيروت 1990م

11.ديوان النابغة الذبياني، تح محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف، مصر 1977م.

12.الشوقيات، أحمد شوقي ،دار العودة بيروت 1988م.

13. الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس،تح مصطفى الشويميّ بيروت 1963م.

14. ظاهرة اللبس في العربية، مهدي أسعد عرار،دار وائل، الأردن 2003م.

15.علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط عالم الكتب القاهرة 1993م.

16.غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي ،دار الكتب، بيروت 1986م

17.فضّ الختام، صلاح الدين الصفديّ ،تح محمد عايش،عمان 2014م.

18.فقه اللغة،علي عبد الواحد وافي،ط8 دار النهضة مصر بدون تاريخ.

19.الفوائد المشوّقة إلى علوم القرآن ،ابن قيّم الجوزيّة،ط مكتبة الهلال 1987م.

20.القاموس المحيط،الفيروزآبادي ،تح أنس محمد الشاميّ وزكريا جابر أحمد ،دار الحديث القاهرة 2008م.

21. الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام محمد هارون ،عالم الكتب ،القاهرة 1983م.

22.كتاب المجالس، أبو عبد الله الخطيب،تح غانم قدوري ،عمان 2002م.

23. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت 1956م.

24.المزهر، جلال الدين السيوطي ،ط2 دار إحياء الكتب العربية بيروت بدون تاريخ.

25.مشكل الحديث وبيانه،أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك،تح موسى علي،مطبعة حسان،القاهرة بدون تاريخ.

26.مع الأحرار(ديوان شعر)، أحمد محمد صالح،بيروت 1969م.

27.المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ، نشره أ.ي.وينسنك ،مكتبة . ليدن 1936م

28.مفاتيح الغيب،محمد بن عمر الرازي، دار الفكر بيروت 1995م.

# اتجاهات مدرسي التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس

م.م. صبا محمد عبد الكريم

وزارة التربية

المديرية العامة للتربية – كربلاء – العراق

## الملخّص

يعتبر الحاسوب ضرورة أملتها مجالات المعرفة المتعددة، ما جعل المؤسسات التعليمية تسعى بخطى حثيثة وراء الابتكارات التي توظف هذه التقنية في مجال التربية والتعليم لكونه وسيلة من وسائل التعلم للإتقان، وحيث أكد الباحثين والمفكرين أن اتجاهات المدرسين نحو الحاسوب الالكتروني تؤثر على فاعلية استخدامه في التدريس، جاء البحث الحالي للتعرف على اتجاهات المدرسين والمدرسات نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في تدريس التربية الفنية .

لذا هدف البحث الحالي إلى بناء أداة لقياس الاتجاه لعدم توفرها، ثم معرفة اتجاهات مدرسي ومدرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس، ومعرفة الفروق بين الجنسين في الاتجاه نحو استخدام الحاسوب الالكتروني .

بعد بناء الأداة والتحقق من صدقها وثباتها، تم تطبيقها على العينة الأساسية للبحث ،ثم معالجة نتائج البحث، إذ تم حسابها باستخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وبالاعتماد على برنامج APSS، و أظهرت النتائج إن اتجاه مدرسي ومدرسات التربية الفنية كان اتجاهاً ايجابياً بشكل عام، نحو استخدام الحاسوب الالكتروني، وبفروق ذات دلالة إحصائية وبمستوى (0,05)، فضلا عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوجه نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في متغير الجنس، إذ أظهرت النتائج أن الاتجاه كان ايجابياً لصالح المدرسين وبدلالة احصائية وبمستوى (0,05) .

وفي ضوء نتائج البحث أوصت الباحثة بضرورة ترسيخ السبل والوسائل الكفيلة بتنمية الاتجاهات الايجابية لمدرسي ومدرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني، فضلا عن عقد ندوات أو مؤتمرات للمدرسين تبين ضرورة مواكبة التطور واستخدام وسائط جديدة في التعليم والتعلم، و توجيه مراكز الأبحاث والمؤسسات التعليمية لإعداد برامج محوسبة في إطار تكاملي مع المادة الدراسية والفعاليات التربوية وفقاً لأسس تربوية، كما تم اقترح إجراء دراسة لواقع استخدام الحاسب الالكتروني في المدارس الثانوية، و إجراء دراسة للصعوبات التي يواجهها مدرسي ومدرسات التربية الفنية في استخدام الحاسوب الالكتروني، كما اقترحت الباحثة إجراء دراسة ميدانية مقارنة بين اتجاهات مدرسي ومدرسات التربية الفنية في مركز كربلاء والاقضية التابعة لها نحو استخدام الحاسوب الالكتروني، وإجراء دراسة ميدانية مقارنة بين اتجاهات المدرسين و الطلبة نحو استخدام الحاسوب في التدريس، وإجراء دراسة لاتجاهات معلمي التربية الفنية في المدارس الابتدائية نحو استخدام الحاسوب في التدريس.

## الفصل الأول

## التعريف بالبحث

### مشكلة البحث:

تمثل المعرفة حاجة ماسة للمجتمع الإنساني، ينهل منها طالبها إلى الأبد، فهي لا تقف عند حد معين وتستمد تطورها من تطور العصر بإمكانياته وأساليبه وفنونه المتنوعة والمتعددة، مما يضفي بعداً زمنياً وعمقاً حضارياً مستفيداً من التطور الذي يميز العصر، ويغير الحياة بمجرياتها وأحداثها وعناصرها كافة، لذلك فالمعرفة في محصلتها تمثل طبيعة المجتمع لأنهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً.

و يعيش العالم اليوم في عصر تكنولوجيا المعلومات والحاسوب الالكتروني، عصر فيه طريق المعلومات فائق السرعة، وهو الطريق السالك الذي يسهم بشكل أو بآخر في تطور مجريات الحياة بسرعة، هذا التسابق مع الزمن جعل الأنظمة التربوية بحاجة إلى أحداث تغييرات في أنظمتها التعليمية لمواكبة مدى تأثير هذا التغيير وكيفية تحديد نوعية المخرجات التربوية .

ويؤكد الكثير من التربويين إلى أن الأسلوب الأمثل لمواجهة متطلبات هذا التغير هو تغيير العملية التعليمية والابتعاد عن الطرائق والأساليب التقليدية التي أصبحت اليوم لا تتفق مع التقدم العلمي الذي يشهده العالم، ومن هنا جاءت محاولات عدة لوضع خطط وأساليب متنوعة لإدخال الحاسوب الالكتروني للنظام التعليمي كي يكون عنصراً أساساً في العملية التعليمية.

(الحسناوي، 2005، ص31)

أن إدخال الحاسوب الالكتروني في مجال التربية والتعليم يمثل نقلة نوعية بالرغم من حداثة العهد به، فقد دلت عليها الجهود البحثية، وفي جميع المواد الدراسية والمراحل العمرية مختزلاً زمن التعلم مقارنةً بالطرائق التقليدية (محامدة، 2005، ص5 )

ويقدم الحاسوب إمكانات متعددة من حيث سرعة الأداء، ومساحة التخزين ، والتكرار بلا ملل فضلاً عن إدخال أنماط جديدة من الصوت والصورة الثابتة و المتحركة، فهو يحاكي البيئة الواقعية أو الخيالية باستخدام الصوت والصورة والرسومات لإنتاج مواقف حياتية تشد من يتفاعل معها.

(شقور، 2004 ، ص45 )

وبذلك يتميز الحاسوب الالكتروني عن كثير من الوسائل التعليمية في كونه قادراً على تجسيم الحالة بأشكالها وأبعادها المختلفة فضلاً عن إمكانية التحكم به من قبل المدرس والطالب .

(الخصاونة، 1992، ص245)

كما يعتبر الحاسوب ضرورة أملتها مجالات المعرفة المتعددة، مما جعل المؤسسات التعليمية تسعى بخطى حثيثة وراء الابتكارات التي تنتج خارج إطار المجالات التربوية التعليمية ولما كانت أهداف التربية الحديثة أعداد جيلاً قادراً على مواجهة تحديات المستقبل، أصبح من الضروري تنويع مجالات الخبرة بجوانبها المعرفية والتطبيقية والوجدانية للحصول على مستوى معين من الأداء لتحقيق الأهداف المنشودة.

(حسين وزيدان ،1977، ص27)

كما تبنت الفلسفة الحديثة هذه النظرة في التركيز على الطالب كونه محور العملية التعليمية والتربوية ،مما يتطلب دوراً ايجابياً للمدرس نحو الطالب فقد يستلزم حث الطالب على

الابتكار، ومساعدته على تنشيط خياله عن طريق الإثارة وتوجيه نظره إلى الطرائق الجديدة لرؤية الأشياء، بوصفه كائناً حياً له كيانه الذاتي.

(ابراهيم وفوزي، 2004، ص110)

وتأسيساً على ما سبق ذكره اختلفت مهنة التدريس عما كانت عليه سابقاً، إذ أن الارتقاء بمستوى التربية والتعليم يتطلب اليوم من المدرس أن يتجاوز دور الناقل للمعلومات والمعارف إلى دور جديد يعطي من خلاله فرصاً حقيقة للتعلم الذاتي لتنمية قدرات واهتمامات المتعلم المختلفة، ولاشك أن هذا النمط من التعليم يستوجب استخدام أساليب حديثة تأخذ بعين الاعتبار صعوبات التعلم ومشكلات المتعلمين وتستثير المشاركة الايجابية والفاعلة في كل نشاط تربوي.

(William et . al, 1998 ,P164)

لذا تُعد مهنة المدرس عموماً، ومدرس التربية الفنية خصوصاً عملية أساسية في تكوين الأجيال وإعدادهم للحياة بمجالاتها المختلفة، بما في ذلك الأعداد من تثقيف للعقول، وتهذيب للنفس، وصقل للمواهب، وتنمية الاستعدادات للقدرات العقلية ثم تعديل سلوك الأفراد في الاتجاه الاجتماعي السليم.

(جرادات وآخرون، 1983، ص54)

إذ تعد مادة التربية الفنية من المواد الدراسية المهمة في توطيد دعائم البناء التربوي، عن طريق إتاحة فرص التفاعل مع الخبرات التربوية والفنية المباشرة، وتعمل على إكساب المتعلم المهارات التقنية، بما يحقق الربط بينها وبين التطور العلمي والتكنولوجيا المعاصرة، لتمكين الشخصية الإنسانية من اكتساب آليات الانفتاح اللامتناهي على العالم والمحيط الاجتماعي .

(إبراهيم وفوزي – 2004– ص111)

وقد أشار الباحثون في

المؤتمر الإقليمي للتربية الفنية الذي عقد في عمان عام (2002) إلى الدور الذي تضطلع به التربية الفنية لتعليم الطلبة مختلف الفنون، وركزوا على ضرورة تطوير وتعزيز تدريس الفنون المختلفة اعتماداً على معطيات الفكر التربوي الحديث .

(العاني، 2002، ص3)

بناءً على ما تقدم وجدت الباحثة أن مدرس التربية الفنية في ظل هذا التطور السريع في الحياة والتغير المصاحب في وسائل التربية والتعليم أمام مسؤولية التربية الحديثة بمفهومها الحديث من أعادة هيكلة الشخصية الإنسانية بما يتفق مع التقدم العلمي الذي تشهده المجتمعات، وباستخدام أساليب تدريسية فاعلة ذات كفاية عالية لتحقيق الغايات التربوية المنشودة ومنها توظيف الحاسوب الالكتروني في التدريس ، ليس لأهميته الفاعلة في التعليم كما أثبتت العديد من الدراسات فحسب، بل كونه أصبح أداة ذات قوة مؤثرة في حياتنا اليومية ، وبما أن الاتجاهات نحو الحاسوب الالكتروني تؤثر على فاعلية استخدامه من قبل الأفراد سواء كانوا مدرسين أم طلبة، جاء ت هذه الدراسة للتعرف على اتجاهات مدرسي التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في تدريس التربية الفنية، لذا قامت الباحثة بأجراء دراسة استطلاعية، على عينة عشوائية من مدرسي ومدرسات التربية الفنية في المدارس الثانوية في مركز محافظة كربلاء المقدسة طرحت فيها سؤالاً مفتوحاً، طلبت فيه تثبيت آراؤهم ومواقفهم من استخدام الحاسوب الالكتروني في تدريس مادة التربية الفنية ، حيث اتضحت الحاجة الملحة لتقصي الموضوع عبر الدراسة العلمية المستفيضة، نتيجة التباين بالآراء، لذا يمكن تحديد مشكلة البحث الحالي بالسؤال الآتي : –

- ما هو اتجاه مدرسي ومدرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس؟

**ثانياً: أهمية البحث**

تعد التربية والتعليم المقدمة الجوهرية للكينونة الإنسانية والتطور العلمي والتقني والازدهار الحضاري، بل تفترض هذه التربية حتمية وضرورة الارتقاء بالمعرفة والإمكانيات البشرية بوصفها حاجة ماسة في التنمية المستدامة لشرائح المجتمع كافة. (عطية، 2009، ص50)

وهي مهمة قابلة للتحقيق بما في ذلك نتائجها المرجوة في حال استناد التربية والتعليم إلى منظومة متجانسة من الأنساق التربوية والتعليمية، لتصبح المفاهيم الأكاديمية والنظرية موضع تطبيق بشكل عملي، ومن خلالها تنمو قدرات الطلبة على كيفية استخدام المعلومات والخبرات في المجالات التطبيقية، عبر العمليات التي يكتسب الطالب فيها المهارات اليدوية والعقلية التي يحتاجها في حل المشكلات التي تواجهه في مواقف الحياة .(الحيلة، 1998، ص54)

فالأهداف التربوية غايات يتقدم المتعلم نحوها، وهي النتائج النهائية للمتعلم التي تحددت في صورة تغيرات في سلوك المتعلم، ينتظر حدوثها في شخصية المتعلم نتيجة لمروره بخبرة تعليمية أو موقف تعليمي معين، وتبرز أهميتها بشكل أكثر وضوحاً في استمرار هذه الأهداف والتركيز عليها من قبل المدرسين بعدّها الأساس في بناء المواطنة الصالحة . (ملحم ،2002، ص62)

فقد حددت أدبيات التعليم ثلاث مهمات رئيسة للمدرس، وهي التدريس، والبحث العلمي وخدمة المجتمع .(Eble , 1972, P. 110) لذا ورد في توجيه المؤتمر الخاص

للحكومات حول مكانة المدرسين المنعقد في باريس عام 1966، إن تقدم التربية يعتمد بشكل كبير على مؤهلات الهيئة التدريسية، وعلى المزايا الإنسانية والتعليمية والفنية للمدرسين.

(سعادة، 1985ص184- 185)

ولما كان من الأهمية أن يكون المدرس مؤهلاً علمياً وفنياً، لما له من أثر في النهوض بالمجتمع، بات من الضروري بذل الجهود العلمية لدراسة كافة الجوانب المتعالقة مع مستوى انجازه في الموقف التعليمي كماً ونوعا، (وتعد موضوعة الاتجاهات ذات دور كبير في توجيه استجابات الأفراد وتحديد مستوى انجازهم للعمل الذي يمارسونه). (راشد، 2002، ص39)

فضلاً عن استخدام الحاسوب الالكتروني كوسيلة تعليمية مساعدة للمدرس أثناء عرض المادة الدراسية على الطلبة يشجع على تبني الأساليب المتطورة في التدريس ويوفر العديد من الفرص في أن يتحكم بالعملية التعليمية التي يقوم بأدائها من خلال ممارسته مهنة التدريس .

(دروزة، 2000، ص217)

وقد دلت العديد من الدراسات على إن إدخال الحاسوب في مجال التربية والتعليم يعد من وسائل التعلم للإتقان لأنه يحقق عرض المادة التعليمية بصورة متدرجة من السهل إلى الصعب بما يسهل عملية استيعاب المادة الدراسية من قبل الطلبة بطريقة سهله لمراعاتها الفروق الفردية بينهم . (عطية، 2009، ص261)

وتعتقد الباحثة أن أهمية البحث الحالي تبرز من خلال دور التربية الفنية كونها أحدى الحلقات الحيوية والمهمة في تعزيز وتعضيد الجوانب التربوية والعلمية في المدارس الثانوية،بوصفها دعامة أساسية من دعامات التربية الحديثة وركن من

أركانها كونها عاملاً مساعداً لتحريك ملكات فكرية راكدة لدى المتعلم عبر محتوى منهج منظم، ونشاطات فنية مصممة لتستثير الملكات كحدة الإدراك الحسي، والتفكير الناقد، ومهارة التحليل والتركيب، حيث تتزايد حاجة الطالب في المدارس الثانوية إلى توفير قنوات التعبير عن النفس ووسائل تأكيد الذات .

بوصفه كائناً حياً له كيانه الذاتي الذي يجد فيه طريقة تفاعله مع البيئة، بما يتناسب مع قدراته، وبذلك تنشأ الخبرة المباشرة التي تؤثر في الطلبة ويتأثر بها لكي تساعده على النمو فالتفاعل بين الذات والموضوع لا يأتي متكاملاً إلا أذا وجدَ الطلبة في بيئتهم الطبيعية متمتعين فيها بشيء من الحرية الموجهه . (إبراهيم وفوزي، 2004، ص110)

ويؤكد (الكناني وديوان) بأن التربية الفنية بشكل خاص من المواد الدراسية التي تحتوي على خبرات تعليمية متنوعة تسهم في تكوين شخصية المتعلم وبناؤها بشكل متوازن كونها تؤكد على الجوانب الحسية والوجدانية والبصرية.

(الكتاني وديوان – 2012– ص582)

وبناءً على ما تقدم تبرز أهمية البحث الحالي بالنقاط الآتية :

1– يهتم البحث الحالي بالاتجاهات لدى مدرسي ومدرسات التربية الفنية، وهو من الموضوعات التي يؤكد علماء النفس الاجتماعي على أهميتها باعتبارها موجهات ودوافع ومحكات معيارية لسلوك الإفراد وتوجهاتهم .

2– أن موضوع البحث الحالي يواكب الاتجاهات التربوية الحديثة التي تؤكد ضرورة الإفادة من الحاسوب في جميع الأنشطة التعليمية لما يمثل الحاسوب من موسوعة

صورية وصوتية ذات منافع متعددة الجوانب لثالوث العملية التعليمية المتمثلة (بالمدرس – الطالب – المادة التعليمة ) .

3- يستمد البحث الحالي أهميته من أهمية مادة التربية الفنية، لما لها من دور مهم في العملية التعليمية، كونها لغة صادقة في التعبير عن ومشاعر وحاجات الطلبة، فضلا عن الكشف عن مواهبهم في الجوانب الفنية، بما يسهم بتوظيف تلك المواهب لتلاءم كل جديد ينسجم مع الأهداف التربوية والجمالية والتي تسعى التربية الفنية إلى تحقيقها.

4- يعد البحث الحالي من الدراسات الموضوعية والمتفردة بحسب علم الباحثة في مجال استقصاء اتجاهات مدرسي التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب في التدريس .

5-أن النتائج التي سيتمخض عنها البحث الحالي، تفيد العاملين في وزارة التربية، بتقديمها تصوراً واضحاً مبني على أسس علمية حول اتجاهات مدرسي التربية الفنية نحو استخدام الحاسب الالكتروني في التدريس.

**ثالثاً: أهداف البحث**

يهدف البحث الحالي إلى ما يأتي :

1- بناء أداة لقياس اتجاه مدرسي ومدرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس.

2- تعرّف اتجاهات مدرسي ومدرسات التربية الفنية في نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس.

3- تعرّف الفرق بين الجنسين في الاتجاه نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في تدريس التربية الفنية.

**رابعاً: حدود البحث**

يقتصر البحث الحالي على :

1- مدرسي ومدرسات مادة التربية الفنية .

2- المدارس الثانوية في مركز محافظة كربلاء المقدسة .

3- السنة الدراسية 2014- 2015.

**خامساً . تحديد المصطلحات**

1- **الاتجاهات:**

- عرفها (صالح 1988)

بأنها: مجموع استجابات القبول أو الرفض إزاء موضوع اجتماعي جدلي معين.

(صالح ،1988، ص316)

- عرفها (الديب 1997 )

بأنها :استعداد أو تهيئ عصبي خفي متعلم منظم حول الخبرة للاستجابة بانتظام بطريقة محببة أو غير محببة . ( الديب، 1997، ص331)

- عرفها (عبد الرحمن 1998)

بأنها : تركيب عقلي نفسي أحدثته الخبرة المتكررة الحادة ويتميز هذا التركيب بالثبات والاستقرار النسبي.(عبد الرحمن ،1998، ص359)

- عرفها (البورت-Allport 2005)

بأنها :حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي تنتظم من خلال خبرة الشخص، وتكون ذات تأثير توجيهي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثيرها هذه الاستجابة . (عبد الهادي، 2005، ص45)

**التعريف النظري** : هي ميل أو اندفاع ايجابي أو سلبي مكتسب نتيجة مرور الفرد بخبرات معينة، يتميز هذا الميل بالثبات النسبي .

**التعريف الإجرائي** : هي استجابات مدرسي ومدرسات التربية الفنية في

المدارس الثانوية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس ،على فقرات مقياس الاتجاه المعد في البحث الحالي والتي يعبر عنها بالدرجة الكلية التي يحصل عليها كل فرد من أفراد عينة البحث .

2- **التدريس** :

- عرفه شعلان وجاد الله (1970)

بأنه :"مهمة تعاونية تستدعي أن يعرف المعلم مسؤوليته , ويتفهم مسؤوليات الآخرين , وكيف يتعامل معهم ويتقبل خدماتهم لتحقيق الصالح العام " (شعلان وجاد الله , 1970 , ص55)

- عرفه Good(1973)

بأنه:" إدارة المعلم للمواقف التعليمية و التعلمية , والتي تتضمن التفاعل المباشر بين المعلم والمتعلم , والأعداد المسبق لعملية اتخاذ القرار في التخطيط , والتعليم , والتصميم , و إعداد المواد لظروف التعليم والتعلم و التقويم ." (Good, 1973, P: 588)

- عرفته كوجك (1977)

بأنه :"عملية متعمده لتشكيل بيئة الفرد بصورة تمكنه من أن يتعلم القيام بسلوك محدد , أو الاشتراك في سلوك معين، وذلك تحت شروط محددة، أو كاستجابته لظروف محددة . (كوجك , 1977 ,ص15)

- عرفه بغدادي (1979)

بأنه :"انه مجموعة من الأنشطة ذات الجوانب ولأبعاد المتعددة , يتضمن المعرفة و لانفعال والحركة في تقديم المعارف , وإلقاء الأسلة والشرح والتفسير والاستماع والتشجيع المناقشة ولإقناع والاقتناع وحشد الأنشطة الأخرى." (بغدادي ,1979 , ص15)

**التعريف النظري** : هو عملية ديناميكية متحركة ضمن علاقات ترابطية فعالة بين المدرس والطالب والمادة الدراسية وفق خطة معينة لتحقيق هدف تعليمي – تعلمي .

3- **التربية الفنية :**

- عرفها النعيمي (1990)

بأنها:" عملية تربوية اجتماعية تسهم ايجابياً في تكوين الطلبة حسب قدراتهم وميولهم الفنية بما ينسجم وطاقاتهم التعبيرية الفنية نحو خدمة مجتمعهم وارتباطهم ببيئتهم مما يجعلهم في وضع يمكنهم من التفاعل بما يحيط بهم وتحسينه من الناحية الجمالية والتعبير الفني".

( النعيمي، 1990، ص21)

- وعرفها الحيلة (1998)

بأنها:" نمو في الرؤية الفنية وفي الإبداع الفني التشكيلي وفي تمييز الجمال وتذوقه وفي التعبير بلغة الخطوط والمساحات والإحجام والكتل والألوان، في صيغ فردية، تعكس الطابع المميز لشخصية المعبر". (الحيلة، 1998،ص20)

- عرفها عايش (2008)

بأنها : " ضمان نوع مميز عند الطلبة من خلال الفن بمظاهره المتعددة كالنمو في الرؤية الفنية وفي الإبداع الفني وفي تمييز الجمال الفني وتذوقه وفي التعبير عن الأشياء بلغة الخطوط والأحجام والمساحات والألوان ". (عايش، 2008، ص24)

تتفق الباحثة مع تعريف النعيمي (1990) كونه يتلاءم مع مضمون البحث الحالي .

4- **الحاسوب الالكتروني :**

الحاسوب لغةً : (حاسبة )، محاسبةً، وحساباً : ناقشه الحساب، وجازاه (إبراهيم، 1986، ص171)

الحاسوب اصطلاحاً : يقابل كلمة computer في اللغة الانكليزية وكلمة Ordinaateur في اللغة الفرنسية، واستعملت مصطلحات عربية كثيرة للدلالة عليها مثل الحاسوب الآلي، أو الحاسوب

الالكتروني .(الشاذلي وعفيفي، 2003، ص21 )

- عرفه القريشي ( 1987)

بأنه "جهاز الكتروني له قدرة فائقة على إدخال المعلومات وإخراجها وتخزينها ومعالجتها بسرعة متناهية بواسطة مجموعة من العمليات التي تشكل ما يسمى بالبرامج " . (القريشي، 1987، ص13)

- عرفه عيادات ( 2004 )

بأنه "عبارة عن آلة الكترونية صممت لاستلام وتخزين وإجراء العمليات على البيانات من اجل إجراء جميع العمليات السهلة والصعبة بطريقة دقيقة ومنظمة وسريعة للحصول على النتائج من جراء العمليات ". ( عيادات ،2004، ص19 )

- عرفه محامده (2005 )

بأنه " جهاز الكتروني مصمم بطريقة تسمح باستقبال البيانات واختزانها ومعاملتها وذلك بتحويل البيانات إلى معلومات صالحة للاستخدام واستخراج النتائج المطلوبة لاتخاذ القرار ". ( محامده ،2005، ص137 )

**التعريف النظري:** هو جهاز الكتروني له قدرة فائقة على إدخال المعلومات وتخزينها وإخراجها ومعالجتها بطريقة دقيقة ومنظمة لاستخراج النتائج المطلوبة وفق برمجيات محددة.

## الفصل الثاني إطار نظري ودراسات سابقة

### أولاً: إطار نظري

ويتضمن الخلفية النظرية والعلمية التي يعتمدها الباحث عند دراسة مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وبغية وضع الحلول وتفسير النتائج التي أسفر عنها البحث، إذ أن أهمية المشكلة والحاجة إليها تتضح عند وضعها في إطار

نظري واسع من المعرفة التربوية والنفسية والخبرات الإنسانية، إذ أن تحديد الإطار النظري، يساهم في تحديد أهداف ذات قيمة، وبناء أدوات للبحث، وتفسير نتائج تخدم البحث العلمي .(العساف ، 1995، ص50)

**الاتجاهات**

يستأثر مفهوم الاتجاهات باهتمام متزايد في مجالات العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع والعلوم النفسية والتربوية بصورة أساسية وعلاقتها مع علوم السياسة والاقتصاد والإدارة والصناعة والإعلام، والاتجاهات في علم النفس تعبر عن حالة نفسية لها مكوناتها ووظائفها وخصائصها، وتعد من أهم جوانب الشخصية، أن كثرة الاتجاهات لدى الفرد والترابط القائم بينها يعدان المسوغ الرئيسي في إيثار الكثير من البحوث النفسية المعنية بالاتجاهات، حيث وصف هذا المفهوم بأنه النواة الأولى في بناء صرح هذا العلم , وانه لا يوجد مصطلح ظهر في الدراسات التجريبية والنظرية المنشورة يفوق مصطلح الاتجاهات. (الرحو،2005،ص77)

ويعد المفكر والفيلسوف الانكليزي (هربرت سبنسر ) من أوائل علماء النفس الذين استخدموا مفهوم الاتجاهات في مؤلفه (المبادئ الأولى) سنة1862 إذ يرى بأن البعد السلوكي للفرد حول موضوع معين "يعتمد إلى حد كبير على الاتجاه الذهني للفرد " (مصطفى، 1975، ص338)

لقد أدرك الفلاسفة والمفكرين الدور الفاعل لمفهوم الاتجاهات في صياغة وتشكيل أنواع السلوك لارتباطها الوثيق بمعظم الظواهر النفسية الاجتماعية بسيطةً كانت أم مركبة، إذ تقوم الاتجاهات بإعادة صياغة الخبرات الحياتية في المواقف المختلفة وفق هيكلية تنظيمية ناتجة

عن مواقف الاختيار والمفاضلة التي تدفع الفرد للتصرف وفق طريقة محددة فالمدرس يتصرف بحرية شبه كاملة في أدارة العملية التعليمية متأثراً بمعاييره الخاصة، وعليه يتضح جلياُ أهمية اتجاه المدرس في تحديد مساهمته البناءة أو عدمها في تحقيق الأهداف التربوية عبر تعميقه لخبراته في المواقف التربوية.

(الفتلي، 2010، ص513)

ويستند تفسير مفهوم الاتجاهات إلى عدد من نظريات التعلم منها :

**1- وجهة النظر السلوكية:**

إن نظرية الاشتراط الكلاسيكي بشكلها التقليدي والتي تعود لـ(بافلوف) ونظرية الاشتراط الإجرائي لـ(سكنر) اللتان تعتمدان كلاهما على مبدأ التعزيز الذي يقوم على أساسه تعلم الاتجاه، حيث أن الاتجاهات التي يتم تعزيزها تتزايد نسبة احتمال حدوثها أكثر من التي لا يتم تعزيزها، وضمن هذه السياق فالفرد يتعلم الاتجاهات بذات الأسلوب الذي يكتسب به العادات، فكما يأخذ الناس المعلومات والحقائق، كذلك يتشربون المشاعر والقيم وما يتعالق معها من حقائق ومعلومات، وبهذه الطريقة فان الاتجاهات تنشا وتتطور من خلال ثلاث عمليات هي (الترابط، التعزيز، التقليد ) فالترابط يتم بتوافق ظهور المثير ومن ثم الاستجابة في نفس المكان والزمان، كذلك يحدث تعلم صفات الشيء أو الموضوع من خلال تكوين الاتجاه نحوه وتطوير هذا الاتجاه الايجابي وبالعكس، ويعتمد التعلم للاتجاهات على درجة قوة العناصر السلبية والعناصر الايجابية في الموضوع الذي يكون الاتجاه حوله.

(عقل، 1988، ص 170- 171)

**2- نظرية التحليل النفسي :**

إن هذه النظرية باتجاهها العام لا تخرج

بتفسيرها للاتجاهات عن أساسياتها المتمثلة بمرتكزات الشخصية الثلاث (ألانا العليا، ألانا، الهو) حيث أن اتجاه الفرد نحو الأشياء يؤطره الدور الذي تقوم به هذه الأشياء في خفض التوتر الناشئ عن الصراع الداخلي بين الغرائز والقوانين الاجتماعية إذ يتكون اتجاه قبول نحو الأشياء التي خفضت التوتر كما قد يتكون اتجاه نحو رفض الأشياء التي تعوق أو تمنع خفض التوتر وتؤكد هذه النظرية إن للاتجاهات دورا فاعلا في تكوين الأنا (Kiesler,1969,p30)

ووفق رأي هذه النظرية يكون للاتجاهات دور في تكوين ( الأنا ) التي تمر بمراحل مختلفة ومتغيرة من النمو منذ الصغر وحتى البلوغ وضمن فاعلية محصلة الاتجاهات المختلفة التي يكونها الفرد نتيجة لخفض أو عدم خفض توتراته، لان اتجاه الفرد نحو الأشياء مهما كان نوعها يحدده دور تلك الأشياء في خفض التوتر الناشئ من الصراع الداخلي بين نظم الشخصية الثلاثة، وبخاصة بين متطلبات (الهو) الغريزية وبين الأعراف والمعايير والقيم الاجتماعية التي تمثلها (الأنا العليا) .

(وحيد،2001، ص51)

ولكن كيف تقوم ( الأنا) بحماية نفسه ضد تهديدات وضغوطات (الهو) من جهة و(الأنا العليا) من جهة أخرى فأنها تلجأ إلى العمليات الدفاعية (الميكانزمات) ليبتعد عنها القلق والتوتر، ومن خلال هذه العمليات تتكون لدى الفرد بعض الاتجاهات الايجابية نحو الأشياء التي عملت أو ساهمت في خفض التوتر لدى الفرد واتجاهات سلبية نحو الأشياء التي لم تعمل على خفض التوتر أو القلق لدى الفرد .

(رضوان ،2009، ص38)

**3- وجهة النظر المعرفية :**

إن افتراضات الاتجاه المعرفي في علم النفس تستند بشكل أساس على أن لكل فرد بنيان معرفي متسق ومرن وبنفس الوقت متغير وخاضع للتطور والتبدل المستمر تحت ضغط التفاعل الذي يحييه ويعيشه الفرد مع بيئته والذي يؤدي إلى اكتسابه معلومات جديدة، قد تبدو غير متسقة مع بنيانه المعرفي القائم في بعض الأحيان، مما يضطره إلى اللجوء لعمل آليات الدفاع النفسي من أجل التعامل بشكل يضمن إعادة حالة الاتساق الداخلي إلى البنيان المعرفي للفرد وبالتالي تحقيق حالة نفسية مريحة .(القصاب، 1996، ص40)

**4- نظرية التعلم الاجتماعي :**

هي النظرية التي ترتكز على البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد ودورها الرئيس في تشكيل الشخصية وما يترتب على هذه الشخصية من سلوكيات تقتضيها الأدوار الاجتماعية التي تتقمصها ضمن متطلباتها الحياتية والمجتمعية والتي تأخذها ممن يحيطون بها من خلال المشاهدة ومن ثم المحاكاة، ولكن ليس كل المحاكاة هي تقليد أصم بل أن فيها- نسب تقل أو تكثر حسب طبيعة الظروف السائدة- حيث يرتبط التقليد بالمثل أو التجديد والابتكار، لذلك يعتقد أصحاب هذه النظرية ومنهم (باندورا و والترز) أن الاتجاهات متعلمة عن طريق عمليات التعلم والتقليد والمحاكاة، تركز هذه النظرية على دور الأسرة وجماعة اللعب ووسائل الإعلام في تكوين الاتجاهات من خلال ما تقدمه من مواقف اجتماعية وما ترويه من قصص وحكايات، ويعد تعليم الاتجاهات عن طريق القدوة والمحاكاة من أهم استراتيجيات تكوين وتعديل

الاتجاهات . (ابوجادو،2000، ص2)

**دور الحاسوب في العملية التعليمية**

قدمت التكنولوجيا الحديثة وسائل تقنية وأدوات لعبت دورا كبيرا في تطوير أساليب التعليم والتعلم، فالمعلومات هي ذلك الكم الهائل من المعرفة والبيانات والوقائع بمختلف أشكالها وقوالبها التي تشكل أسساً وأصولاً وقواعد تُخضع الأشياء إليها وبالتالي فهي تعد اليوم أهم وسيلة لتنامي ثقافة المجتمعات .

لقد جاء الحاسوب ليؤدي دوراً بارزاً في المؤسسات التعليمية حيث كان يعتقد ارتباط عمليتي التعليم والتعلم ارتباطاً علائقياً وشيجاً بما لا يترك مجالاً للشك في صعوبة حدوث عملية التعلم بدون حدوث عملية التعليم، إلا أن هذه النظرة أخذت شكلاً عصرياً، بدخول الحاسوب الذي أسندَ للمدرس دوراً مميزاً يتطلب توافر مهارات وكفايات معينة، ليتماشى مع طبيعة المرحلة .

(ابراهيم، 1999، ص50)

أدركت المجتمعات المتقدمة منذ بداية الستينات الدور الذي يمكن أن يؤديه الحاسوب، في المؤسسات التربوية، لما له من أثر في تنمية اتجاهات المتعلمين الايجابية نحو الدور المنتج الذي يلعبه الحاسوب في التعليم .

(أبو ريا وحمدي، 2001، ص194)

وقد دلت العديد من الدراسات على إن إدخال الحاسوب في مجال التربية والتعليم يعد من وسائل التعلم للإتقان لأنه يحقق عرض المادة التعليمية بصورة متدرجة من السهل إلى الصعب، وهذا ما يسهل عملية استيعاب المادة الدراسية من قبل الطلبة بطريقة سهله لمراعاتها الفروق الفردية بينهم. (عطية، 2009، ص261)

بالرغم من استخدام الحاسوب

كوسيلة تعليمية من قبل المدرس ينبغي أن يكون ذلك في إطار تكاملي مع المنهج الدراسي والفعاليات التربوية، وأن لا يكون منفصلاً عنها وفقاً لأسس فلسفية تربوية مستمدة من النظام التعليمي ليصبح قوة تقنية فاعلة في مختلف المجالات .

(دروزة، 2000، ص217)

إذ أن الارتقاء بمستوى التربية والتعليم يعتمد بشكل أساسي على مهنة التدريس، باعتبارها عملية أساسية في تكوين الأجيال وإعدادهم للحياة بمجالاتها المختلفة، بما في ذلك الأعداد من تثقيف للعقول وتهذيب للنفس، وصقل للمواهب، وتنمية الاستعدادات للقدرات العقلية ثم تعديل في سلوك الأفراد في الاتجاه الاجتماعي السليم . (جرادات وآخرون، 1983، ص54)

أن انتشار استخدام الحاسوب الالكتروني لا يلغي طبيعة الدور الحيوي للمدرس في العملية التعليمية، فالحاسوب الالكتروني، يمكن اعتباره مجموعة من الوسائل تضمنتها أداة واحدة، ومن هنا يتضح أنه من خلال الحاسوب الالكتروني يمكن ممارسة أنشطة متنوعة في التربية الفنية كالرسم، والتصوير، والتصميم والطباعة بالألوان، هذا بالإضافة إلى الاستفادة منه في تدريس المفاهيم المختلفة في التربية الفنية كوسيلة تعليمية لتنمية جوانب الإبداع .

( ابراهيم وفوزي، 2004، ص143)

**مزايا استخدام الحاسب الالكتروني**

1- توفير الوقت : وذلك من خلال الاسترجاع السريع للمعلومات أو الرسومات، وأيضا القيام بالعديد من العمليات في وقت قصير، كما أن الحاسب يختصر الفرق في الوقت الذي قد يستهلك عند التدريس باستخدام الحاسوب . Kerry ,1991, P:

(55)

2- التوصيل الجيد للمعلومات : فالحاسوب الالكتروني لا ينسى أو يحدث له تشتيت في الذهن أثناء تقديمه لمعلومة ما، كما يمكن أن يحدث للمدرس، كما أنه لا يتأثر بعوامل نفسية مثلا فتؤثر في كفاءته(إبراهيم وفوزي، 2004، ص145)

3- التقنية العالية : توفرت الآن العديد من الأجهزة والملحقات المضافة للحاسوب الالكتروني التي تجعل مدرس التربية الفنية ينفذ العديد من أفكاره وأفكار طلابه بشكل عالي الجودة ، كما يوجد العديد من البرامج التي خصصت لمعالجة الرسوم الجرافيكية ثنائية الأبعاد .( سعيد، 2001، ص69)

4- الصلة بالمجال : إن الفنانين منذ القدم يكون لديهم جاذبية نحو الأدوات والخامات الجديدة لتنفيذ أعمالهم، وبطبيعة الحال فأن مدرس التربية الفنية غالباً ما يتخذ من الفنان مصدراً لخبراته، وهذا ما يجب أن يتجه إليه مدرس التربية الفنية بجانب أدواته وخاماته . (الحيلة، 1998، ص38)

5- تنمية جوانب التعاون والاحتراف : إن استخدام الحاسب الالكتروني بين الطلاب ينمي روح التعاون بينهم، فهم عادة ما يحدث بينهم نوع من التعلم ونقل الخبرات لبعضهم في أوقات تنفيذ رسومهم، وهذا النوع من التعليم ثابت الأثر، نتيجة لأن الطالب يسأل عندما يواجه مشكلة وعند اكتسابه من زميله لا يفقدها بسهولة، فضلا عن استخدام الحاسب في درس التربية الفنية يؤدي بالضرورة إلى جانب احترافي للطلاب عبر إنتاج رسوم أو ملصقات لها علاقة بالمواد الأخرى، ربما رسوم توضيحية أو ما

شابه. (سعيد، 2001، ص70)

6- توفر للطالب التقدم في المادة الدراسية حسب سرعته الذاتية، وتعمل على تزويده بالتغذية الراجعة الفورية ( Howes and Willams, 1988 , P : 344)

7- ظهور طرائق جديدة في التعلم بتأثير التعلم الالكتروني، مثل التعلم الفردي، Individual Learning والتعلم المستقل Independent Learning، والتعلم التكنولوجي المتقدم، Interactive Learnin (حافظ، 2005، ص44)

**ثانياً: الدراسات السابقة**

**دراسات عربية**

- (دراسة العمايره ،2003) " التعرف على آراء معلمي بعض مدراس وكالة الغوث الدولية – الأردن "

هدفت إلى التعرف على آراء معلمي بعض مدراس وكالة الغوث الدولية –الأردن في أهمية استخدام التقنيات التعليمية والصعوبات التي تواجههم في استخدامها، ومعرفة ما إذا كان للمتغيرات التالية (الجنس، والخبرة في التدريس والتخصص، والمؤهل العلمي ،والمرحلة التي يدرس فيها المعلم ) اثر في أراء المعلمين . تألفت عينة الدراسة من (151 ) معلم ومعلمة، يعملون في أربع وعشرون مدرسة إعدادية وابتدائية اعد الباحث أداة البحث وهي استبانه تضمنت أربع مجالات، واستعمل الباحث المتوسطات الحسابية والنسبة المئوية واختبار (ت) وتحليل التباين الأحادي، في تحليل نتائج البحث وتوصلت الدراسة إلى إن نسبة 77.2 % من أفراد العينة أظهرت اتجاها ايجابيا نحو

أهمية استخدام التقنيات التعليمية في التدريس، كما دلت النتائج على وجود فروق ذات دلالة إحصائية لأثر متغير الجنس في درجة استخدام المعلمين للتقنيات التعليمية ولصالح معلمي المرحلة الإعدادية (العمايرة ،2003، ص133-164)

- دراسة (الطاهر وبعلي2011) " التعرف على أراء أساتذة كلية الآداب بجامعة المسيلة في أهمية استخدام التقنيات التعليمية ومعوقات استخدامها كمؤشر للجودة الشاملة" هدفت الدراسة إلى معرفة أراء أساتذة كلية الآداب بجامعة المسيلة في الجزائر نحو أهمية استخدام التقنيات التعليمية، كما هدفت إلى تقصي أهم معوقات استخدام التقنيات التعليمية في التدريس.

ولتحقيق هذه الأهداف تبنى الباحث استبانة مكونة(28) فقرة للتعرف على أراء الأساتذة في أهمية استخدام التقنيات، طبقت على عينة البحث البالغة(82) أستاذ في كلية الآداب، أما الوسائل الإحصائية استخدم الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، و معامل ارتباط بيرسون، توصلت الدراسة إلى وجود اتجاهات ايجابية نحو استخدام التقنيات التعليمية في التدريس لدى مدرسي كلية الآداب، مع وجود معوقات تحول دون هذا الاستخدام من وجهة نظرهم .

(الطاهر وبعلي ،2011، ص50)

- دراسة( نايف وكاظم 2011) " اتجاهات ومعوقات استخدام الحاسوب الآلي في التدريس لدى مدرسي التاريخ في محافظة كربلاء المقدسة "

هدفت الدراسة إلى معرفة اتجاهات مدرسي التاريخ نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس . كما هدف

إلى تقصي أهم المعوقات التي تحول دون استخدام مدرسي التاريخ للحاسوب الالكتروني في التدريس. ولتحقيق هذه الأهداف صمم الباحثان استبانتين مكونتين من(15) فقرة للتعرف على الاتجاه و(18) فقرة للتعرف على المعوقات، طبقت على عينة البحث البالغة (96) مدرس ومدرسة في المدارس الثانوية، أما الوسائل الإحصائية استخدم الباحثان معامل ارتباط بيرسون، ومعادلة سبيرمان براون، والوسط المرجح ، والوزن المئوي، توصلت الدراسة إلى وجود اتجاهات ايجابية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني لدى مدرسي التاريخ ، مع وجود معوقات تحول دون هذا الاستخدام من وجهة نظرهم . (نايف وكاظم، 2011، ص80)

2- دراسات أجنبية

- دراسة باركر (Parker ,1997) " زيادة استخدام كليات التربية للتقنية في التدريس وفي اعداد المعلمين"

أجريت هذه الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية \ جامعة لويزيانا، وهدفت إلى معرفة واقع استخدام أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة لويزيانا للحاسوب الالكتروني في تخطيط الدروس، كما هدفت إلى حصر العقبات التي تحول دون استخدام هيئة التدريس للحاسوب في التدريس وتخطيط الدروس، شملت عينة الدراسة جميع أعضاء هيئة التدريس في الكلية وعددهم (42) عضوا، أظهرت نتائج الدراسة أن معظم أعضاء الهيئة التدريسية يستخدمون الحاسوب الالكتروني، كما أظهرت الدراسة وجود معوقات في استخدام الحاسوب الالكتروني كان من

أهمها قلة الوقت، نقص في البرمجيات، وعدم إدراك بعض أعضاء هيئة التدريس لأهمية الحاسوب في تطوير تدريسهم.

(Parker ,1997:105-115)

- دراسة مارس وتاكر ( Marc &Tucher,1999 ) " تقويم استخدام الحاسوب الالكتروني في المدارس الثانوية"

أجريت هذه الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية \ ولاية كاليفورنيا، وهدفت إلى تقويم استخدام الحاسوب الالكتروني في المدارس الثانوية في سانتا بربار بولاية كاليفورنيا، شملت عينة الدراسة (120) معلم ومعلمة و(820) طالب وطالبة، أظهرت نتائج الدراسة ضرورة أيجاد برامج جيدة وان هنالك عدد من المعلمين يشجعون على الابتكار وهنالك ميل نحو استخدام الحاسوب الالكتروني.

Marc &Tucher, 1999,P )

(:11-25

**ثالثاً: موازنة الدراسات السابقة**

**1- منهج البحث** : استعملت جميع الدراسات السابقة منهج البحث الوصفي كما هو الحال في البحث الحالي.

**2- أهداف البحث** : تباينت أهداف الدراسات السابقة من حيث الهدف، فمنها ما سعى إلى التعرف على آراء المعلمين والأساتذة في أهمية استخدام التقنيات التعليمية والصعوبات التي تواجههم في استخدامها كدراسة( العمايره ،2003)، و دراسة (الطاهروبعلي2011)، ومنها ما تقصى دراسة اتجاهات ومعوقات استخدام الحاسب الآلي في التدريس كدراسة( نايف وكاظم 2011)، وأخرى سعت إلى التعرف على واقع استخدام أعضاء الهيئة التدريسية للحاسوب الالكتروني في التدريس.

**3-حجم ونوع العينة** : تباينت أحجام العينات من دراسة لأخرى حيث تراوحت بين (42) إلى (820) .

أما من حيث نوع العينة فمعظم الدراسات السابقة كانت من الأساتذة والمدرسين والمعلمين، باستثناء دراسة كدراسة (مارس وتاكر ( Marc &Tucher,1999) التي طبقت على عينة من الطلبة بالإضافة للمعلمين.

**4-الوسائل الإحصائية:** استخدمت الدراسات السابقة وسائل إحصائية متنوعة على وفق أهداف البيانات التي حصلت عليها وطبيعتها ومن هذه الوسائل المتوسطات الحسابية والنسبة المئوية واختبار (ت) وتحليل التباين الأحادي، و معامل ارتباط بيرسون، ومعادلة سبيرمان براون، والوسط المرجح ، والوزن المئوي .

**5-أداة البحث** : استعملت جميع الدراسات السابقة الأستبانة كأداة للبحث.

**6-مكان الأجراء** : توزعت أماكن إجراء الدراسات بين الأردن كدراسة ( العمايره ،2003)، والجزائر كدراسة ( الطاهر وبعلي2011 )، وأمريكا كدراسة باركر (Parker ,1997) ،ودراسة مارس وتاكر ( Marc &Tucher,1999 ) ، والعراق كدراسة ( نايف وكاظم 2011).

**رابعاً: جوانب الإفادة من الدراسات السابقة**

أفادت الباحثة من الدراسات السابقة في عدة جوانب منها :

1-التعرف على منهجية البحوث للإفادة منها في اختيار المنهجية المناسبة للدراسة الحالية.

2-إعداد أداة البحث وتطبيقها .

3-اختيار الوسائل الإحصائية المناسبة .

4-الوقوف على نتائج الدراسات السابقة التي تناولت مواضيع ذات علاقة بالدراسة الحالية .

## الفصل الثالث

### أولاً: منهجية البحث وإجراءاته

لتحقيق أهداف البحث لابد من تحديد مجتمع البحث واختيار عينة ممثلة له و إعداد أداة البحث، فضلاً عن انتقاء الوسائل الإحصائية المناسبة لمعالجة البيانات، ولأجل الإيفاء بمتطلبات البحث وتحقيق أهدافه، فقد اتبعت الإجراءات الآتية :

### ثانياً: مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث الحالي بمدرسي ومدرسات التربية الفنية في مركز محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي2014 – 2015، وقد بلغ حجم مجتمع البحث (96) والجدول رقم (1) يوضح حجم مجتمع البحث وفقاً لمتغير الجنس .

### ثالثاً:عينة البحث

العينة الاستطلاعية : تم سحب عينة استطلاعية عشوائيا، المكونة من ( 24) مدرساً ومدرسة وبواقع (18) مدرس و(6) مدرسات، من مدرسي ومدرسات التربية الفنية ووجهت لهم استبانه مفتوحة تضمنت السؤال الآتي:

ما هو رأيك باستخدام الحاسوب الالكتروني في تدريس التربية الفنية ؟

عينة البحث الأساسية : شملت العينة مجتمع البحث كله، لأن هذا المجتمع قليل نسبياً، ومن اجل إن تكون النتائج التي سيتوصل لها البحث أكثر دقة وشمولية، وبذلك كان حجم هذه العينة (72) مدرساً ومدرسة، تم تطبيق الأستبانة على عينة البحث الأساسية بواقع (42) مدرساً و(30) مدرسة، والجدول رقم (2) يبين توزيع عينة الدراسة .

### رابعاً: أداة البحث

لغرض تحقيق أهداف البحث تطلب بناء مقياس للاتجاهات يتصف بالصدق والثبات والموضوعية وذلك للتعرف على اتجاهات مدرسي ومدرسات التربية الفنية في محافظة

كربلاء المقدسة ، نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس، وللإيفاء بمتطلبات بناء المقياس فقد تم إتباع الخطوات الآتية :

1- اطلاع الباحثة على الأدبيات المتعلقة بالاتجاهات.

2- الاطلاع على الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث الحالي.

3- خبرة الباحثة المتواضعة كونها مدرسة للتربية الفنية.

4- قامت الباحثة بمراعاة الصياغة اللغوية لفقرات المقياس بأن تكون بلغة سلسة وان تشير إلى حقائق وتثير المدرس وتدفعه للإجابة بشكل صريح وقد حددت بدائل المقياس وفقاً لمقياس (ليكرت ) الثلاثي .

4- تم اعتماد طريقة ( ليكرت ) التي تعد أوسع الطرائق انتشاراً لبناء مقاييس الاتجاهات وتسمى بطريقة التقديرات التراكمية لان درجة الفرد على المقياس هي مجموع تقديراته لجميع عبارات المقياس وتتميز الفقرات باستخدام هذه الطريقة بانقسامها إلى نصفين الأول يحتوي الفقرات الايجابية، والثاني يحتوي على الفقرات السلبية وأمام الفقرات البدائل قد تكون ثلاثة أو أربعة أو خمس ويطلب من الفرد إن يضع إشارة على درجة تدرج المقياس.(الياس،1995، ص84)

**خامساً: الخصائص السايكومترية**

1- الصدق: يعد الصدق من أهم خصائص والسمات الواجب توافرها في أداة البحث، و يكون المقياس صادقاً إلى الحد الذي يقيس السمة أو الخاصية التي أعد من أجل قياسها وهو من مواصفات المقياس الجيد وللتأكد من صدق المقياس تم عرض فقراته على مجموعة من الخبراء في مجال علم النفس والقياس والتقويم وطرائق التدريس ملحق (1) لبيان صلاحية كل فقرة من فقرات المقياس وسلامة صياغتها،

لذا استخدمت نسبة (80%) أو أكثر في اتفاق أراء الخبراء حول قبول صلاحية الفقرات، ويبين ملحق رقم (3) أسماء السادة الخبراء، وقد نالت جميع فقرات المقياس اتفاق الخبراء بعد تعديل بعضها، وحذف أحدى الفقرات، وبذلك أصبح المقياس مكون من (26) فقرة ذات البدائل الثلاث (أتفق، أتفق إلى حد ما، لا أتفق ) وكانت أوزان البدائل كما هو موضح في الجدول رقم (3) .

جدول رقم (1) إعداد مدرسي ومدرسات التربية الفنية وفقاً لمتغير الجنس

| أعداد المدرسين | | المجموع |
|---|---|---|
| الذكور | الإناث | |
| 60 | 36 | 96 |

الجدول رقم (2) يبين توزيع عينة الدراسة

| طبيعة العينة | عدد الذكور | عدد الإناث | المجموع |
|---|---|---|---|
| عينة الدراسة الاستطلاعية | 18 | 6 | 24 |
| عينة الدراسة الأساسية | 42 | 3 | 72 |

جدول(3) يوضح أوزان بدائل الأداة

| نـــــوع العبارة | أتفق | أتـفـق إلـى حد ما | لا أتفق |
|---|---|---|---|
| موجبة | 3 | 2 | 1 |
| سالبة | 1 | 2 | 3 |

جدول رقم (4)

نتائج دلالة الفرق بين درجات أفراد العينة لحساب اتجاه مدرسي ومدّرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس

| حـجـم العينة | المتوسط الحسابي | الانـحـراف المعياري | المتوسط الفرضي | درجـة الحرية | القيمة التائية | | الدلالة المعنوية عند مستوى ( 0.05) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | المحسوبة | الجدولية | |
| 72 | 53 .74 | 5 .741 | 52 | 71 | 2.481 | 2.009 | دالة |

جدول رقم (5)

نتائج اختبار دلالة الفروق بين متوسطي الدرجات للمدرسين بحسب الجنس

| الجنس | حـجـم العينة | المتوسـط الحسابي | الانـحـراف المعياري | درجـة الحرية | القيمة التائية | | الدلالـة المعنوية عند مستوى ( 0.05) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | المحسوبة | الجدولية | |
| المدرسين | 42 | 53 .92 | 6 .064 | 70 | 2 .439 | 2.009 | دالة |
| المدرسات | 30 | 52 .61 | 5 .890 | | | | |

2- التطبيق الاستطلاعي للأداة : بعد أن تم وضع تعليمات المقياس وتوزيع الفقرات عشوائياً تم تطبيق الأداة، بصيغتها الأولية على مدرسي ومدرسات مادة التربية الفنية، وتألفت من (24) مدرس ومدرسة ، وبواقع (18) مدرس، و(6) مدرسات والجدول رقم ( 2) يوضح ذلك .

3- وضوح تعليمات وفقرات الأداة : أن الهدف المرجو من التطبيق الاستطلاعي لأداة الاتجاهات هو للتحقق من مدى وضوح تعليمات الإجابة عن فقراته من قبل المدرسين والمدرسات ومدى وضوحها من حيث المعنى، و تحديد الزمن المستغرق في الإجابة عن الأداة، ولقد طلب من المدرسين والمدرسات قراءة تعليمات الإجابة عن الأداة وقراءة كل الفقرات والإجابة عنها بدقة وموضوعية وإبداء ملاحظاتهم حول أية صعوبة أو غموض في فهم تعليمات الإجابة أو صياغة الفقرات أو طريقة الإجابة، وبعد مناقشة المدرسين والمدرسات حول ذلك، ومراجعة استجاباتهم اتضح أن فقرات الأداة واضحة لجميع أفراد العينة الاستطلاعية، وبلغ معدل الزمن المستغرق للإجابة عن الأداة (23) دقيقة.

4- ثبات الأداة : أن المقصود بثبات المقياس هو أن يعطي النتائج نفسها تقريبا إذا ما تكرر تطبيقه على الأفراد أنفسهم في الظروف نفسها، ولغرض التحقق من ثبات الأداة، تم احتسابه بطريقة التجزئة النصفية، حيث تم تطبيقه على عينة مقدارها (24) مدرساً ومدرسة للتربية الفنية . وبعد تطبيق المقياس على عينة التحليل الإحصائي، فقد تم تقسيم فقرات المقياس إلى نصفين، فقرات تحمل أرقام فردية وفقرات تحمل أرقام

زوجية، ثم جمعت درجات الفقرات الفردية ودرجات الفقرات الزوجية كلاً على انفراد ولكل مدرس ومدرسة من العينة، ثم استخرج معامل الارتباط بين نصفي المقياس باستخدام معامل ارتباط ( بيرسون) بين درجات النصفين Ferguson, & Takan (1989,p125, )حيث بلغت قيمة معامل الارتباط بين النصفين (0,81) وبما أن طريقة التجزئة النصفية تقيس نصف المقياس، وليس المقياس بأكمله، لذا تم استخدام معادلة ( سبيرمان – براون) لتصحيح معامل الارتباط وقد بلغ معامل الثبات (0,89) وهو معامل ثبات عالي يعول عليه.

**سادساً. الصيغة النهائية للأداة**

بعد التحقق من صدق المقياس وثباته، أصبح المقياس يتكون بصيغته النهائية المعدة للتطبيق على عينة البحث من (26) فقرة وضعت أمام كل فقرة بدائل الاختيار (أوافق، أوافق إلى حد ما، لا أوافق ) وكانت درجات هذه البدائل (3، 2، 1) للفقرات الايجابية وبالعكس للفقرات السلبية كما موضح في الجدول ( 3) ويبلغ المتوسط الفرضي (52)، قامت الباحثة بتطبيق الأداة المعدة لقياس اتجاهات مدرسي ومدرسات التربية الفنية في مركز محافظة كربلاء المقدسة نحو استخدامهم الحاسوب الالكتروني على عينة البحث الأساسية يوم الأربعاء المصادف 2015 /3/18 .

**سابعاً. الوسائل الإحصائية**

استخدمت الباحثة في تحليل ومعالجة بيانات البحث المعادلات الآتية:

1- معادلة النسبة المئوية لاستخراج اتفاق المحكمين . (Cooper, 1974,p27)

2- معادلة الوسط الحسابي : قد استخدم في استخراج الوسط

الحسابي لإجابات المدرسين والمدرسات على الأداة.

3- معادلة الانحراف المعياري: قد استخدم في إجراءات صدق الأداة وثباتها.

(فيركسون، 1991،ص534)

4- معادلة الاختبار التائي ( T ) لعينة واحدة فقط، وقد استخدمت في الكشف عن دلالة اتجاهات المدرسين و المدرسات نحو استخدامهم للحاسوب الالكتروني .

5- معادلة الاختبار التائي (T) لعينتين مستقلتين، وقد استخدمت في الكشف عن دلالة الاتجاهات بين الجنسين نحو استخدامهم للحاسوب الالكتروني . ( عودة، 1985، ص123)

6- معامل ارتباط ( بيرسون) قد استخدم في استخراج معامل ارتباط بين درجات النصفين للأداة.

( توفيق واخرون ،2000، ص72)

7- معادلة ( سبيرمان – براون) استخدمت لتصحيح معامل الارتباط.(عودة ،1985، ص125)

## الفصل الرابع

يتضمن هذا الفصل عرضاً وتحليلاً للنتائج التي توصل إليها البحث مع الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات، بعد أن تمت معالجة البيانات بالوسائل الإحصائية المناسبة على برنامج APSS، وسيتم عرض النتائج وتحليلها وفقاً لأهداف البحث.

### أولاً . عرض النتائج

**الهدف الأول** : ( بناء أداة لقياس الاتجاه نحو استخدام الحاسوب الالكتروني) تحقق الهدف الأول لدى الباحثة بعد أن تم بناء أداة خاصة بالبحث لقياس اتجاهات مدرسي ومدرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس والتأكد من الخصائص السايكومترية لهذه الأداة .

**الهدف الثاني** : (معرفة اتجاهات مدرسي ومدّرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس) تحقيقاً لهذا الهدف، فقد تم استخراج المتوسط الحسابي لدرجات مدرسي ومدّرسات العينة والبالغ عددهم (72)، إذ بلغت قيمة المتوسط الحسابي ( 74. 53) درجة، وبانحراف معياري مقداره ( 741. 5) وعند اختبار معنوية الفروق بين المتوسط الحسابي لدرجة العينة والمتوسط الفرضي* للأداة البالغة قيمته (52) درجة وباستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة، فقد وجد بان القيمة التائية المحسوبة تساوي (2.481)، وعند مقارنتها بالقيمة التائية الجدولية البالغة ( 2.009) عند مستوى دلالة (0.05 ) ودرجة حرية ( 71) تبين أن القيمة التائية المحسوبة أكبر من القيمة التائية الجدولية، أي إن هناك فرقا ذا دلالة إحصائية بين المتوسط الحسابي

. استخرجت الباحثة المتوسط الفرضي من خلال المعادلة الآتية: المتوسط الفرضي= وزن البديل الأول × عدد فقرات المقياس+ وزن البديل الأخير × عدد فقرات المقياس ÷ 2 = المتوسط الفرضي

للعينة والمتوسط الفرضي للأداة، يسجل ارتفاع معنوي في الاتجاه، والجدول رقم ( 4 ) يبين لنا بان اتجاه مدرسي ومدّرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس كان اتجاهاً ايجابياً بشكل عام.

**الهدف الثالث :** ( معرفة الفروق بين الجنسين في الاتجاه نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في تدريس التربية الفنية ) تحقيقاً لهذا الهدف، فقد تم تحليل بيانات اتجاهات مدرسي ومدّرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني بحسب الجنس، فتبين إن المتوسط الحسابي للعينة البالغة (42) مدرساً بلغ (92. 53) درجة وبانحراف معياري مقداره ( 064. 6)، في حين كان المتوسط الحسابي لدرجة عينة المدّرسات والبالغ عددهن (30) مدرسة هو (61. 52) وبانحراف معياري مقداره ( 890. 5) وعند اختبار معنوية الفروق بين متوسطي درجات المدرسين والمدّرسات باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وجد بأن القيمة التائية المحسوبة تساوي ( 439. 2)، وعند مقارنتها بالقيمة التائية الجدولية البالغة (2.009 ) عند مستوى دلالة (0.05 ) وبدرجة حرية (70)، إذ تبين من إن القيمة التائية المحسوبة اكبر من القيمة التائية الجدولية، مما يعني أن كلا الجنسين لديه اتجاهاً ايجابيا نحو استخدام الحاسوب الالكتروني، ولكن الاتجاه الايجابي كان أكبر لدى المدرسين وبفرق ذات دلالة إحصائية . والجدول رقم (5) يوضح ذلك.

**ثانياً. تفسير النتائج**

أسفرت نتائج البحث عن وجود فرقاً ذا دلالة إحصائية بين المتوسط الحسابي للعينة والمتوسط الفرضي للأداة، يسجل ارتفاع معنوي في الاتجاه لدى مدرسي ومدّرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس، وقد يعود السبب في ذلك للتطور الهائل والسريع في التكنولوجيا، مما جعل استخدام الحاسوب الالكتروني ضرورياً في حياتنا، إذ لم

يعد هناك مجالاً من مجالات المعرفة لم يدخل الحاسوب الالكتروني فيه، واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع دراسة ( العمايره ،2003)، و دراسة (الطاهر وبعلي2011)، ودراسة ( نايف وكاظم 2011)، ودراسة باركر ( Parker 1997,) ، كما اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة ( العمايره ،2003)، في وجود فرقاً ذا دلالة إحصائية لصالح المدرسين في الاتجاه الايجابي نحو استخدام الحاسوب الالكتروني في التدريس، وترى الباحثة أن السبب في ذلك يعود لكون المدرسين أكثر خبرة في مجال استخدام الحاسوب الالكتروني .

**ثالثاً. الاستنتاجات**

1- أن الاتجاهات مكتسبة ومتعلمة فهي تتشكل نتيجة الخبرات التي يكتسبها الفرد من تفاعله مع البيئة
2- إن اتجاه كل من مدرسي ومدرسات التربية الفنية في المدارس الثانوية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني هو اتجاه ايجابي مع وجود فرق بين المدرسين والمدرسات ولصالح المدرسين.

**رابعاً.التوصيات**

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث أوصت الباحثة بالآتي:

1- تشجيع أعضاء الهيئة التدريسية لطلبتهم باستخدام الحاسوب الالكتروني في تنفيذ بعض النتاجات الفنية لأثره في تنمية الاتجاهات الايجابية لدى الطلبة نحو استخدام الحاسوب الالكتروني.
2- ترسيخ السبل والوسائل الكفيلة بتنمية الاتجاهات الايجابية لمدرسي ومدرسات التربية الفنية نحو استخدام الحاسوب الالكتروني .
3- عقد ندوات أو مؤتمرات للمدرسين تبين ضرورة مواكبة التطور واستخدام وسائط جديدة في التعليم

والتعلم، وإرساء ثقافة الرسم الرقمي الذي لا يتعارض مع الرسم التقليدي ولن يحل محله، ففي كلتا الحالتين هو بحاجة إلى إحساس الفنان وخبرته، للتعاطي البناء مع المستجدات القيمية والثقافية التي ميزت هذا العصر في المجال التقني، والتي خطت فيها التجارب العالمية خطوات عريضة .

4- توجيه مراكز الأبحاث والمؤسسات التعليمية لإعداد برامج محوسبة في إطار تكاملي مع المادة الدراسية والفعاليات التربوية وفقاً لأسس تربوية مستمدة من النظام التعليمي لتصبح أداة فاعلة في تطوير الممارسات التعليمية .

5- إعداد برامج تدريبية للمدرسين والطلاب على كيفية استخدام الحاسوب الالكتروني في العملية التعليمية، خصوصاً في مجال تنفيذ الأعمال الفنية ثنائية وثلاثية الأبعاد وفق برمجيات متعددة.

**خامساً. المقترحات**

في ضوء النتائج التي أظهرها البحث تقترح الباحثة الآتي :

1- إجراء دراسة لواقع استخدام الحاسب الالكتروني في المدارس الثانوية .

2- إجراء دراسة للصعوبات التي يواجهها مدرسي ومدرسات التربية الفنية في استخدام الحاسوب الالكتروني

3- إجراء دراسة ميدانية مقارنة بين اتجاهات مدرسي ومدرسات التربية الفنية في مركز كربلاء والاقضية التابعة لها نحو استخدام الحاسوب الالكتروني.

4- إجراء دراسة ميدانية مقارنة بين اتجاهات المدرسين و الطلبة نحو استخدام الحاسوب في التدريس.

5- إجراء دراسة لاتجاهات معلمي التربية الفنية في المدارس الابتدائية نحو استخدام الحاسوب في التدريس.

# المصادر :


1- إبراهيم، قاسم محمد يوسف(1999): الدور الجديد للمعلم في عهد التكنولوجي مجلة رسالة المعلم، م39، ع2،4 .

2- إبراهيم، كاظم (1986) : التربية في إطار التنمية القومية في العراق، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع7، بغداد .

3- إبراهيم وفوزي، ليلى حسني، وياسر محمود (2004) : مناهج وطرق تدريس التربية الفنية بين النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر .

4- أبو جادو، صالح محمد علي(2000) : سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط2، دار المسيرة للنشر، عمان

5- أبو ريا، محمد وحمدي، نرجس (2001) : استخدام إستراتيجية التعلم باللعب المنفذة من خلال الحاسوب في اكتساب طلبة السادس الأساسي للمهارات الأربعة، مجلة دراسات، م 28، ع 1، عمان .

6- البغدادي محمد رضا (1979): برنامج التعليم الصغر لمهارات التدريس , ط1 ،مكتبة الفلاح , الكويت

7- جرادات وآخرون، عزت احمد وآخرون (1983) : التدريس الفعال، سلسلة المكتبة التربوية المعاصرة (1)، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان .

8- حافظ، ناهدة عبد الكريم (2005) : مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، ع17، بغداد .

9- الحسناوي، موفق عبد العزيز (2005) : أثر شبكة المعلومات الدولية وبرامج الحاسوب في تدريس الكترونيات القدرة الكهربائية في تحصيل الطلبة والاحتفاظ بالمعلومات والدافعية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة بغداد كلية التربية، ابن الهيثم .

10- حسين، منصور، و زيدان، محمد مصطفى (1977) : سيكولوجية الإدارة المدرسية والأشراف الفني والتربوي، دار الغريب للطباعة، القاهرة .

11- الخصاونة، أمل عبد الله (1992) : نظام التعليم بمساعدة الحاسوب وأثره في تعليم الرياضيات، دراسة تربوية، مجلد (7)، العدد (45)، القاهرة .

12- الحيلة، محمد محمود (1998) : التربية الفنية وأساليب تدريسها، كلية العلوم التربوية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن.

13- دروزة، أفنان نظير(2000) : النظرية في التدريس وترجمتها علمياً، دار الشروق، عمان، الأردن.

14- الديب، علي محمد(1996) بحوث في علم النفس على عينات مصرية، سعودية، عمانية . القاهرة

15- رائد ،عدنان غانب (2002) : سيكولوجية الأطفال ذوي الصعوبات التعليمية، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن .

16- الرحو، جنان محمد (2005) : أساسيات في علم النفس، ط1، دار العربية للعلوم، بيروت .

17- رضوان، سامر جميل (2009): الصحة النفسية، ط3، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

18- سعادة، يوسف جعفر (1985) : الاتجاهات العلمية الحديثة لتدريس المواد الاجتماعية، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة .

19- سعيد ،أحمد حاتم (2001) : تصميم برنامج باستخدام فاعليات الكمبيوتر في تحليل مختارات من أعمال الفن المصري المعاصر ، (رسالة دكتوراه غير منشورة )، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

20- الشاذلي، فتوح،وعفيفي، كامل عفيفي (2003) : جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ودور الشرطة والقانون (دراسة مقارنة )، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان .

21- شعلان ،سليمان وسعاد جاد الله (1970) : هذا هو التدريس، مكتبة غريب (ب. ب)

22- شقور، علي زهدي (2004) :الحاسوب والتعليم، مجلة المعلم .

23- صالح، احمد زكي ( 1988) : علم النفس التربوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

24- العاني، يوسف (2002) : التراث والإبداع ، جريدة الجمهورية، العدد ( 10855)، الثلاثاء 11 . 6 . 2002

25- الطاهر، مجاهدي ومصطفى بعلي (2011): آراء أساتذة كلية الآداب بجامعة المسيلة في أهمية استخدام التقنيات التعليمية ومعمقات استخدامها كمؤشر للجودة الشاملة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ص . ب 2001، القباضة .

26- عايش، احمد جميل (2008 ) : أساليب تدريس التربية الفنية والمهنة الرياضية، دار المسيرة للنشر والطباعة، ط1، عمان، الأردن .

27- عبد الرحمن، سعد (1998) : ا لقياس النفسي النظرية والتطبيق، ط3، القاهرة .

28- عطية، محسن علي ( 2009) : الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن .

29- عبد الهادي، محمد (2005) : علم النفس الاجتماعي، ط1، دار العلوم العربية، بيروت

30- العساف، صالح بن أحمد (1995) : المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض.

31- عطية، محسن علي (2009) : الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن .

32- عقل، عبد(1988) : علم النفس الاجتماعي، ط 2، دار البيرت للطباعة والنشر والتوزيع ،عمان، الأردن .

33- العمايره، محسن حسن (2003): آراء معلمي بعض مدارس وكالة الغوث الدولية –الأردن في أهمية استخدام التقنيات التعليمية والصعوبات التي تواجههم في استخدامها، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع4

34- عودة ،احمد سليمان (1985) التقويم والقياس في العملية التربوية ،المطبعة الوطنية،عمان ،الأردن.

35- عبادات، يوسف احمد(2004): الحاسوب التعليمي وتطبيقاته التربوية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن .

36- الفلي، حسين هاشم هندول (2010) : اتجاهات مدرسي المواد الاجتماعية وعلاقتها بالمشكلات التي تواجههم، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية – صفي الدين الحلي .

37- فيركسون، جورج (1991) التحليل الإحصائي في التربية وعلم النفس، ترجمة: هناء العكيلي، دار الحكمة، بغداد .

38- القصاب , عدنان عبد الستار (1996) : فاعلية برنامج تدريبي في تعديل اتجاهات المعلمين نحو إدماج التلاميذ غير الاعتياديين في المدارس الابتدائية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ،كلية التربية، الجامعة المستنصرية .

39- القرشي ، أحسان كاظم (1987) : البرمجة بلغة البيسك، مجلة الديوانية، ط2.

40- الكناني، ماجد ناقع، و نضال ناصر ديوان (2012) : وظيفة التربية الفنية في تنمية التخيل وبناء الصور الذهنية لدى المتعلم وإسهامها في تمثيل التفكير البصري (تطبيقات عملية في عناصر وأسس التصميم)، مجلة الأستاذ، العدد (201)، بغداد .

41- كوجك , كوثر حسين (1977): مقدمة في علم التعليم , عالم الكتب , القاهرة

42- محامدة، ندى عبد الرحيم (2005) : التعليم المستمر والتثقيف الذاتي، ط1،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن.

43- مصطفى، سويف (1975) : مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة

44- ملحم، سامي يوسف (2002 ): القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، ط2، دار المسيرة .

45- نايف، كاظم عزيز ( 2011) : اتجاهات ومعوقات استخدام الحاسب الآلي في التدريس لدى مدرسي التاريخ في محافظة كربلاء المقدسة، مجلة الباحث، ع2

46- النعيمي، عبد المنعم خيري(1990): تقويم تدريس الطلبة المطبقين في كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد، مطبعة الأمة، بغداد

47- وجيد، أحمد عبد اللطيف (2001) :علم النفس الاجتماعي، ط 1، جامعة بغداد.

48- الياس، فوزي (1995) : اتجاه طلاب ومعلمي المرحلة الثانوية بسلطنة عمان إزاء نظام الفصليين الدراسيين، لجنة توثيق والنشر ،وزارة التربية والتعليم سلطنة عمان .

## المصادر الأجنبية

1-Baker, Warrant T &Hale Thomas.(1997): Technology in the classroom, Education Review.

2-Cooper.john.D.(1974)Measurement and Analysis of BehaviorTechniques,Charles.E,Merril,Techniques,Ohio, Columbus. .

3-Ebel, R. L. (1972 ) Essentials of Educational Measurement. New Jersey: Prentice – Hall, Inc., Englewood Cliffs.

4- Ferguson, G; & Takane. Y. (1989) Statistical Analysis in Psychology and Education. New York : McGraw – Hill book Co.

5- William S . and Anna W(1998) Introduction to Education , Teaching in a Diverse Society , New Jersey Prentice – Hall,

6- Good c . v (1973)Dictionary of Education 3rd ,McGraw –Hill ,New York

7- Parker, Randal (1993): Increasing Technology into Graduate Teacher Education . Technology and Teacher Education annual 96-98 . Charlottesville ,Association for the Advancement of computing in Education

8- Keery, Freedman (1991): Possibilities of Computer Graphics For Art Instruction ,Art Education ,May ,Vol. 3 .

kiesler , G. (1969 ) The Psychology Of Personal constructs, New York: Norton .Marc,G, &Tucher,S :computer on campus Working papers, current Issues in Higher Education ,31(4).

# نظريّة الجزالة اللّغويّة في أدب عبد الله الطيّب

## الملخّص

عُنيت هذه الدّراسة ببيان معالم نظريّة الجزالة في أدب عبد الله الطيّب، وتفرّدها في الربط بين التراث والمعاصرة، وتميّز أنساقها في الفكر اللّغويّ عن رؤى القدامى والمحدثين. كشفت هذه الدّراسة النّقاب عن منظور عبد الله الطيّب في مفهوم الجزالة في الشّعر وعلاقة الجزالة بالبيئة السودانيّة وصلة الجزالة بما يسمى بغريب الألفاظ. أوضحت الدّراسة كيف يرى عبد الله الطيّب أنَّ الجزالة اُللغويّة أساسٌ لنهضة جديدة تعيد مجد اللغة العربية. أبانت الدّراسة كيف أتبع عبد الله الطيّب النظريّة بالتطبيق في شعره ونثره. خلصت الدّراسة إلى نتائج تفتح المجال لدراسات موسعة في هذا الأفق.

**د. هاشم البشير محمد**

**أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية،**

**جامعة وادي النيل – السودان**

## مقدمة

إنّ العوالم العلميّة والأدبيّة للبروفسور عبد الله الطيّب ممتعة ومهيبة معاً. ممتعة لما فيها من فنون الأدب الرفيع البديع الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة والابتكار ممهورةٍ بفيض عرفانيّ نبيل أخّاذ. أمّا كون عوالمه مهيبة؛ فلأنّها تمتاز بالرصانة العلميّة والعمق الموسوعيّ والمسالك الذهنيّة الوعرة التي تحتاج إلي الذكاء والدُّربة. فعوالم عبد الله الطيّب العبقريّة تظل أبد الأبيد آية من آيات الله, ومعيناً عذباً ينهل منه الناهلون ومعالم نورانيّة يهتدي بها العلماء والباحثون. وحسبنا في هذا ما أقرّه عميد الأدب العربيّ الدكتور طه حُسين في تقديمه لكتاب (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها) الذي ألّفه الدكتور عبد الله الطيّب, إذ قال طه حُسين :" هذا كتاب ممتع إلى أبعد غايات الإمتاع, لا أعرف أنّ مثله أتيح لنا في هذا العصر الحديث..."[1] .ثم يقول عن عبد الله الطيّب :" أتقن الأدب العربيّ علماً به وتصرفاً فيه كأحسن ما يكون الإتقان. لا إتقان المقلّد الذي يلتزم ما ورث عن القدماء, بل إتقان المجدد الذي يُحسن التصرف في هذا التراث, لا يُضيّع منه شيئاً, ولكنّه لا يفنى فيه فناء... وأهنئ أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذّ..."[2].

هذه الدّراسة تسعى إلى كشف بارقة من سماوات أدب عبد الله الطيّب, بل تسعى إلى رشفة من معينه العذب الفيّاض. لم تتوافر بين يدي دراسة سابقة محددة عن نظريّة الجزالة اللّغويّة في أدب عبد الله الطيّب, ولكن من خلال قراءاتي ومدارستي لمؤلفات عبد الله الطيّب أثار انتباهي ولوعه بالجزالة

[1] -مقدمة المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها,عبد الله الطيّب,ص5.

[2] -المرجع السابق, ص7.

اللّغويّة في الشعر والنّثر؛ فانقدحت في ذهني معالم نظريّة الجزالة عند عبد الله الطيّب؛ فألحت عليّ فكرة رسم معالمها, وكشف سماتها للدارسين راجياً أن تفتح هذه الدراسة أفقاً علميّاً بديعاً في رحاب إبداعات عبد الله الطيّب.فعملاً بالترتيب العلميّ والعمليّ أخذت هذه الدراسة عدة مباحث متّسقة حتى يجتلي القارئ معالم نظريّة الجزالة التي تفرّدت بها رؤية عبد الله الطيّب. شملت الدراسة المباحث الآتية: تحرير معني الجزالة عن عبد الله الطيّب, الجزالة وصعوبة الشعر, الجزالة والبيئة السودانيّة, الجزالة واستخدام الغريب في الشعر, بين عبد الله الطيّب وطه حُسين, الجزالة اللُغويّة والنهضة الأدبيّة, الجزالة في شعر عبد الله الطيّب, ثم خاتمة الدراسة ونتائجها.

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. كشف سمات نظريّة الجزالة في أدب عبد الله الطيّب.
2. بيان تميّز مصطلح الجزالة عند عبد الله الطيّب.
3. توضيح رؤية عبد الله الطيّب في الجزالة اللّغويّة وكيفية تحصيلها.
4. جمع ما بثّه في مؤلفاته عند مفهوم الجزالة ليكون نظريّة متكاملة واضحة المعالم للدارسين.

**أهمّية الدراسة:**

تأخذ هذه الدراسة أهميّتها من أهميّة الحقل المعرفيّ الذي تنتمي إليه, لاسيما في مجال الدرس اللّغويّ بمفهومه الواسع, كما أنّها تتعلق بمنجزات أحد أفذاذ علماء العربيّة المعاصرين

وشعرائها المميّزين, ألا هو البروفسور عبد الله الطيّب. كما أنّ الدراسة تلج أفقاً جديداً غير مطروق من قبل الدارسين الذين كتبوا عن أدب عبد الله الطيّب.

**مشكلة الدراسة:**

تتخلص مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

1. كيف نفسّر نظريّة الجزالة عند عبد الله الطيّب؟
2. ما هي سمات الجزالة في رؤية عبد الله الطيّب؟
3. ما الفرق بين مفهوم الجزالة عند عبد الله الطيّب وبين غيره من العلماء ؟
4. كيف طبق عبد الله الطيّب الجزالة في شعره ونقده؟
5. ما أثر الدّرس والدُّربة والبيئة في الجزالة؟
6. ما علاقة الجزالة بالبيئة السودانيّة؟

**منهج الدراسة:**

اتخذت هذه الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ القائم على استقراء معالم نظريّة الجزالة اللّغويّة في مؤلفات عبد الله الطيّب نثراً وشعراً.

**الدراسات السابقة :**

لم تتوافر بين يديّ دراسات سابقة محددة في نظريّة الجزالة اللّغويّة في أدب عبد الله الطيّب سوى مؤلفاته النثريّة ودواوين أشعاره التي بث فيها رؤيته عن الجزالة.

**تحرير معني الجزالة عند عبد الله الطيّب:**

يقول عبد الله الطيّب في مقدمة ديوانه (أصداء النيل) :" الجزالة بنت بيانيّةٌ إيقاعيّةٌ معاً؛ لصدق التعبير

وبداوة روحه"[1]. وقد أبان عبد الله الطيّب في كتابه (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها) تشعّب مفهوم مصطلح الجزالة عند الأوائل فقال:" وكثيراً ما كان الأوائل يستعملون لفظ الجزالة. يعنون بها رنين اللفظ. ولكن هذه اللفظة كانت تستعمل في أغراض عديدة وتُسلك بها مسالك متشعّبة. والبحث في ذلك يطول. والراجح عندي أنّها كانت تصف الأسلوب عامة, ولاسيما إذا كان يشتم منه النفس الجاهليّ"[2] . وكشف عبد الله الطيّب تناقض أبي هلال العسكريّ(ت420هـ) في اشتراطه الجزالة لجودة الكلام." وتعريفه الجزل من القول بأنّه الذي تعرفه العامّة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها"[3]. قال عبد الله الطيّب:" ما لبث أن نقض مقالته هذه حين تعرض لأبيات من شعر تأبّط شراً, منها في صفة الظليم:

أزفُّ زلوجٌ هزرفيٌّ زفازفٌ******هزفٌّ يبذُّ النّاجيات الصوافنا

فوصف هذا بأنّه من " الجزل البغيض الجلف... الذي ينبغي تجنب مثله" ... وكأني به قد احتاج إلى المشايخ والمعاجم في تفهم هذا البيت, ولم يستطع أن ينكر جزالته, وأيقن أنّه مما لا تفهمه العامّة حين تسمعه, ولا تقدر على أن تأتي بمثله فلم يملك إلّا ذمّه"[4]

وقد فنّد عبد الله الطيّب مزاعم من يرون أنَّ الجزالة بنت البداوة ضربة لازم, ومزاعم من يرون أنّها بنت العلم والثقافة أو من يرون أنّها بنت الحرب والضرب, قال:" من زعم أنّ الجزالة بنت البداوة ضربة لازم رددنا علية بأنّ

[1]- أصداء النيل (ديوان), عبد الله الطيّب, الخرطوم,ط الخامسة 1992م ص7.

[2] - المرشد, ص458.

[3]- كتاب الصناعتين, أبو هلال العسكريّ, ت علي محمد البجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم, ط الحلبي 1971م ص68.

[4] - المرشد, ص459.

العباسيّ ابن النيل نشأ في دار دين وحضارة وعلم, وقضى من زمان شبابه ما قضى حين كان بالحربيّة بمصر. وبأنّ البارودي ونهج الجزالة له طريق مهيج, كان من سادات مصر نفساً وأباً وأجداداً, ومصر موغلة في الحضارة.

ومن زعم أنّ الجزالة بنت العلم والثقافة رددنا علية بأنّ ذلك وحده فيها لا يكفي, وقد كان الخليل والأصمعيّ وابن دُريْد من جلّة العلماء, بل قلّ في علم العربيّة من يداني الخليل, ومع ذلك لم يُعدّ الخليل ولا الأصمعيّ ولا ابن دُريْد من كبار الشعراء.

ومن زعم أنّ الجزالة بنت الحرب والضرب, وأوّل على ذلك ما نجده من جزالة البارودي ذكرنا له أنّ حافظاً كان ضابطاً حربيّاً وأسلوبه حضاريّ صحفيّ, وأكثر النّقاد يقدّمون ديباجة شوقيّ. وكان أبعد شئ عن الحرب على ديباجته. وكان أبو دُلف العجليّ قائداً من رجالات الدولة العباسيّة فارساً وشاعراً عربيّاً صميماً, والبُحتريّ وأبو تمّام كلاهما كان أجزل منه وأقوى أسلوباً بلا ريب..."[1].

ثم يذكر كُثيّر عزّة وعمر بن أبي ربيعة, وهما مَنْ هما في الجزالة رغم أنّهما من أهل مكة. ويري أنّ الشاعر مالكاً بن أسماء وهو عربيّ بدويّ محض إلّا أنّ أسلوبه الشعريّ أدنى إلى لين الحضارة من أسلوب كُثيّر وعمر. ويضرب المثل بجزالة الشاعر السودانيّ الفذّ محمد المهديّ المجذوب فيقول:" هذا ومحمد المهديّ المجذوب– رحمه الله وأغدق شآبيب غيوث رضوانه على ثراه– نشأ حضريّاً قرآنيّاً من بيت علم وفضل, وتخرّج في كليّة غردون. وأسلوب الجزالة هو

[1] - من سلال اللامعقول , عبد الله الطيّب,مقال, مجلة الثقافة السودانية, دراسات ومقالات, الخرطوم 1990م,ص92-93

القالب على منهج شعره..."[1].

ثمّ يذكر أنفاس وتر الجزالة في أشعار توفيق صالح جبريل. فلنا إذن أن نتساءل عن كُنه هذه الجزالة التي قصد إليها عبد الله الطيّب؟ فنجد الإجابة في قوله:" الجزالة مما يدرك ولا يحصره التعريف على النّحو الذي يرتضيه أصحاب علم المنطق"[2] .

وهو هنا يعني تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقول علماء المنطق. ثمّ يفصّل فيما أجمله سابقاً فيقول:" بعض الجزالة من العلم والدُّربة والفصاحة, وسائرها إيقاعيّ روحانيّ وجدانيّ معادنه الملكة, وهو هبة من الله"[3] .

وقد فضّل عبد الله الطيّب كلمة الجَرْس بوصفها مصطلحاً لشمولها لمعاني الفصاحة والجزالة وحسن الرصف والفخامة وشدة الأسر وصفاء الديباجة... وأنّ كلمة الجَرْس " لفظ واسع المدلول ينضوي تحته كل ما يتعلق بدندنة الألفاظ في البيان الشعريّ؛ فالوزن والقافية على ذلك طرفٌ منه"[4] . ومن تبيان معنى الجزالة ما ذكره عبد الله الطيّب في مقدمة (أصداء النيل) في قوله:" الجزالة بنتٌ بيانيّة إيقاعيّة معاً, لصدق التعبير وبداوة روحه". فمعني "بداوة روحه" أي: صدقه. وقد أبان عن هذا بقوله:" البداوة البيانيّة معناها الصدق. لا أنّ الشعر يحمل على ظهر بعيره خيمةً ويجتاز

[1] - المرجع السابق,ص93.
[2]- نفسه, ص92.
[3]- نفسه,ص92.
[4] - المرشد,459.

صحراء كلهاري أو أقاديس..."[1].

**الجزالة وصعوبة الشعر:**

قديماً قال الحُطيئة :

الشعر صعبٌ وعسيرُ سلّمُه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمُه

زلت به إلى الحضيض قدمُه

يـريـد أن يـعربـه فيـعجمُـه

وقد فسّر عبد الله الطيّب مصادر هذه الصعوبة والعُسر في ثلاثة أمور أساسيات فقال:" الأمر الأول: صدق المكافحة, أي التعبيرُ المواجهُ الصادرُ عن نفس إحساسك أيّها الشاعر من دون تصنيع تزين بمداهنة أو نفاق... والأمر الثاني: الرنين والغناء وفي كتاب سيبويه:( لأنَّ الشعر وضع للغناء والترنم)[2]. واعلم أنّ الموسيقى لها من جهاز الإنسان العصبيّ موضع بعينه غير موضع البيان والألفاظ اللّغويّة... متى وضح هذا المعنى وضح أنّ افتراض تصنيع الإيقاع برتابات هذا الذي يقال له الشعر الحر إنْ ذلك إلّا ضوضاء وضجيج... والأمر الثالث: هو البيان, والبيان ملكة وصناعة يسبقها درس واجتهاد... والبيان هو أمرٌ قائمٌ بنفسه والإيقاع وهو كذلك أمرٌ قائمٌ بنفسه, متى انسجما في تزاوج وائتلاف محكم صادر عن الأمر الذي ذكرناه أولاً وهو صدق المكافحة, كان الشعر حقّ الشعر. لذلك جاز لأبي الطيّب– رحمه الله– أن يقول:

وما قلتُ من شعرٍ تكاد بيوتُه

******إذا كُتبت يبيضُّ من نورها الحبرُ "[3].

إنّ سّر الجزالة عند عبد الله الطيّب هو الإيقاع ورنين الألفاظ وعذوبتها في الفم ولذاذتها في السمع؛ لذلك حرص

[1] - مقدمة أصداء النيل,ص7

[2]-الكتاب, سيبويةت عبد السلام محمد هارون, ج2 ص4.

[3]- مقدمة أصداء النيل ,ص 6,و ديوان المتنبي, شرح العكبري, ضبط مصطفى السقا وآخران,ط الحلبي1936م,ج2 ص 157

على القوافي العربيّة في الشعر. وقد أنحى بالائمة على دعاة الشعر المُرسل قائلاً لهم:" لا مفرّ من أن نقول: إنّ الشعر المرسل لا يناسب اللّغة الفصحى, وأنّه لن يستطيع أن يقوم مقام القافية الملتزمة التي تقمع شيطان الثرثرة الجموح"[1].ويؤيد هذا المنحى في مهاجمة الشعر الحر ما ذهب إليه إبراهيم السّامرائيّ الذي قال:" لقد ضيمت الكلمة العربيّة لدى كثير من أهل الحداثة؛ فابتعدت عن حقيقتها, وجُردت عن ظلالها, ورانت عليها أمشاج غائمة... إنّ جُلّ هؤلاء لم يشقوا بصحبة الكلمة ولم يعانوا مسألة كون المادة اللّغويّة وثيقة الصلة بنفوس أصحابها لأنّها تفصح عنهم"[2].

وخلاصة الأمر أنّ الجزالة تدرك بصدق المكافحة والملكة والموهبة التي تحقق الإيقاع والرنين, ثم البيان الذي هو صناعة يسبقها درس واجتهاد؛ فإذا تزاوجت هذه المقومات أنجبت الجزالة في أبهى صورها. وكان الشعر حقّ الشعر. وقد فصّل عبد الله الطيّب بدقة سمات الجزالة من كل جوانبها برؤية أوسع مما ذهب إليه العالم الدكتور عبد المجيد عابدين الذي يقول:" الجزالة في صورتها الأصليّة ذات صلة وثيقة بجهارة البادية, ورحابة أرضها, ورنين أصواتها, وثبات مشاهدها, وتنقل أهلها. الأسلوب الجزل أسلوب جهير في قوةٍ ،رحب العبارة ذو رنين ودويّ مدعوم بالرّصانة دائب الحركة والحيويّة"[3].

فأنت ترى كيف تميّز عبد الله الطيّب عن عبد المجيد عابدين في صراحة ووضح بإدخال البعد الروحانيّ والوجدانيّ والملكة والموهبة والدُّربة في تحصيل البيان . كما لا يفوت علينا ما بين الرجلين من تلاقٍ في مفهوم الجزالة

[1] - المرشد, ص31.

[2] - البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر, إبراهيم السّامرائيّ, ط عمان الأردن الأولي 2002م,ص21.

[3]- في الشعر السوداني, عبد المجيد عابدين , الدار السودانية, بلا تاريخ نشر,ص18.

وربطها بجهارة البادية.

**الجزالة والبيئة السودانيّة:**

إذا كانت الجزالة موصولة بالبادية أو صدق التعبير وبداوة روحه فإنّ عبد الله الطيّب يقول:"من جزالة العرب في بادية بلادهم شيءٌ باقٍ كثير, وكثيرٌ من بادية بلادهم ربما وجد في القلب من عواصمهم... ومن أبدى بلاد العرب بلادنا ومن أعرابها بلا أدنى ريب..."[1] . ويذهب عبد الله الطيّب إلى أنّ جزالة البيئة السودانيّة المتمثلة في روحانيّات أشعار الصوفيّة وحلاوة الغناء الشعبيّ والمحيط البيئيّ واللّغويّ علّها أثرت في جزالة شعر البارودي إذ "قضى محمود سامي باشا البارودي فيها (يعني بمدينة بربر) أياماً من صباه, بلا ريب إذ كان أبوه مديراً وما توفي إلّا وهو ابن ثمانٍ أو تسع, ولا يؤرّخ مؤرّخوه لهذه الفترة من حياته, وهي فترة الخلوة والقرآن والأساس الدينيّ واللّغويّ"[2]

يستخدم عبد الله الطيّب أسلوب الاستفهام بالأداة (هل) المختصة بطلب التصديق, فيقول:" هل الروحانيّات التي أودعت نَفَسَ الجزالة في شعر الصوفيّة العاميّ... وفي شعر إبراهيم التليب والعباسيّ والتيجانيّ ومحمد المهديّ والناصر قريب الله من بعد, هل أنفاس قوية من هذه الروحانيّات نفثت في ملكة البارودي الناشئ, ثم تعهدها بعد ذلك أدب الفروسيّة وعلم العربيّة والثقافة والنهضة التي كانت على أيدي جيل رفاعة الطهطاوي ..."[3].

وما ذهب إليه عبد الله الطيّب في حديثه عن طفولة البارودي الباكرة في محيط البيئة السودانيّة وتشربه بأنفاس جزالتها, كل هذه تقرّه الدراسات اللّسانيّة الحديثة فيما يعرف بالمرحلة المهمة

1- مقدمة أصداء النيل ,ص7.
2- من سلال اللامعقول , عبد الله الطيّب,مقال, مجلة الثقافة السودانية, دراسات ومقالات, الخرطوم 1990م,ص95.
3- المرجع السابق,ص95.

لاكتساب الكفاية اللّغويّة أو الملكة اللّغويّة للأداء التي يقول بها اللّغويّ المعاصر نعوم تشومسكي في حديثه عن مفهوم الكفاية **Competence** ومفهوم الأداء **Performance** فالكفاية اللّغويّة هي مرجعيّة الأداء، وهي الحصيلة المستقرّة في عقل منشئ الكلام[1]. وقديماً كان العرب يرسلون أبناءهم إلى البادية لتحصيل هذه الملكة من محيط البادية اللّغويّ النقيّ. فوفق ما ذكره عبد الله الطيّب أنّ البارودي قضى هذه المرحلة من طفولته ببربر وهي مرحلة اصطياد اللّغة. وقد كانت بربر وقتذاك تمتزج فيها حيوات البندر مع حيوات القرى والباديّ. هذه الفترة العمريّة من حياة البارودي لا يؤرّخ مؤرّخوه لها, وهي فترة التحصيل اللّغويّ في الخلوة والقرآن حيث التكوين الدينيّ واللّغويّ الموجود في حركة الحياة وملابسات التواصل مع مكوّنات المجتمع آنذاك.

ويستدل عبد الله الطيّب على صحة ما طرحه في شأن تأثر البارودي بجزالة البيئة السودانيّة بشاعر أثرت فيه بيئة بربر هو إبراهيم ود الفرّاش الذي عاش في بربر في العهد التركيّ. فيقول عبد الله الطيّب:" أنفاس الجزالة الصوفيّة مع حلاوة الغناء الشعبيّ مما هذب أسلوب ود الفرّاش، مثلاً تأمل قوله (في وصف بعيره):

يا بعشوم الكربة

يا ال بتخلف القربة

بنت النّاس الغربة

ريقها يداوي الجربة

فهذا فيه من صفاء الديباجة غير قليل ودانٍ جداً من أنفاس الجزالة التي في جياد العامية... أمّا ود الفرّاش فقد كان مولداً أبوه مصريّ صريح. مع هذا

[1]- انظر مباحث في النظرية الألسنية ميشال زكريا, ط الثانية 1985م,ص 60.

لغة ود الفرّاش حتى حين تتبندر لا تتمصر, ولا يخفى أن سبب ذلك النشأة"[1].

وقد ذهب الدكتور عبده بدوي في كتابه (الشعر في السودان) أنّ البيئة السودانيّة في كثير من أنحاء البلاد تشبه الحياة القديمة في الجزيرة العربيّة في كثير من العادات المشتركة بين العرب القدامى والسودانيين, يقول:" بل إنّ واقع الحياة في السودان الآن يمكن أن يفسّر الشعر القديم"[2].

وقد استدل عبده بدوي بما قاله النويهيّ في كتابه (الاتجاهات الشعريّة في السودان):" ...درست الأدب العربيّ القديم في مصر، وكنت أعتقد أنّي أفهمه, ولم أدر كم كان فهماً نظريّاً إلّا حين أرسلت إلى السودان وعشت فيه, وتجوّلت في تلك البيئة القريبة الشبه لما وصفه الشعراء القدامى, ورأيت للمرة الأولى في حياتي كثيراً من النبات والحيوان والمناظر الطبيعيّة التي سجلوها, إذ ذاك فقط بدأت أفهم الأدب القديم فهماً حقيقيّاً شخصيّاً مباشراً, ولعل في هذه الحاشية الشخصيّة ما يجعل دارسي الأدب ومدرسيه المحترفين على أن يكملوا دراستهم النظريّة بالدراسة الحقليّة؛ فإنّ الاكتفاء بدراسة دواوين الشعراء وشروح القدماء والغوص في رفوف المكتبات؛ لا يُغني عن التجربة الشخصيّة المباشرة في فهم الشعر القديم والتشرّب بروحه مهما تكن مقدرة التخيّل لدى الدارسين."[3]

ويؤكد الدكتور عبده بدوي هذه الجزالة السودانيّة بقوله :"إنَّ في اللهجة السودانيّة . وفي الحياة إن صح التعبير. جانب لا ينكر من الجزالة، وفي ضوء هذا تكون جزالة الحياة أغلب على

[1]- من سلال اللامعقول , عبد الله الطيّب,مقال, مجلة الثقافة السودانية, دراسات ومقالات, الخرطوم 1990م,ص96.

[2]- الشعر في السودان, عبده بدوي,ط الكويت 1980,ص160.

[3] - المرجع السابق ص 161

الشعر من جزالة التراث، وبخاصة أنّنا نعرف أن أكثر هؤلاء الشعراء كانت الثقافة العربيّة هي النبع الوحيد لهم, حتى أنّ أكثر الذين كانت لهم صلة بالإنجليزية كانوا في بعض الظروف يهدرون هذه الصلة من أجل العربيّة"[1]. ويذكر الدكتور عبده بدوي أنَّ عبد الله الطيّب من القلّة السودانيّة التي تعمقت في التراث والحياة السودانيّة"[2].

وهذا من قول عبد الله الطيّب : "...إنّما النفس بنت البيئة وبيئتي العربيّة الفصيحة تسير على النّحو الذي نرى من أوزان الخليل وتخير المطالع والمقاطع، وبيئتي السودانيّة بدويّة المنحى، شعرها كلّه من قبيل أنغام "الدوباي" و"الغُنا "البلديّ..."[3]. وقد وصف بعض النّقاد كطه حُسين عبد الله الطيّب بأنه شاعر بدويّ. ويرى عبد الله الطيّب أنَّ البداوة البيانيّة تعني الصدق.

**بين عبد الله الطيّب وطه حُسين :**

مرَّ بنا أنَّ الدكتور طه حُسين وصف عبد الله الطيّب بالأديب الفذّ، وأنّه قد وصف شعر عبد الله الطيّب بأنه بدويّ. وقد كانت بين الأديبين الكبيرين مودّة أدبيّة عبّر عنها عبد الله الطيّب في بعض قصائده في مدح طه حُسين عندما قدّم له كتاب (المرشد) فقال عبد الله الطيّب :

كسحرِ النّيلِ سحرُك في فؤادي **وفيضُ بيانك النّثرُ النبيلُ

بلوتك أرْيَحيّ القلبِ شهماً ** له الغايات والسبقُ الأصيلُ

يُخلّدُ في كتاب الدهر فرداً ** كما

[1] - نفسه, ص161

[2] - الشعر في السودان, عبده بدوي,ص160.

[3] - مقدمة أصداء النيل, ص 21.

خَلَدَ المبرّدُ والخليلُ

بما أمليت من كلمٍ بواقٍ ** على مرّ الحوادث لا تزولُ

يُضنُّ بها على عبث الليالي **ويرويهنَّ بعد الجيلِ جيلُ[1].

هذه الأبيات وغيرها في القصيدة تعبّر عن شكرٍ ومودةٍ وثناءٍ. وكعادة الأدباء جرى بين الأديبين جدال في بعض شعر عبد الله الطيّب، كقوله :

فظلتُ أروض النفس بعد نفارها **وأُكرهها حتى استمر مريرُها

فقال طه حُسين :"أيُّ الناس يستطيع أن يفهمَ هذا البيت إذا لم يكن من أساتذة الأدب الذين عرفوا دقائق اللّغة وتعمقوا شعر القدماء؟ ولاسيما حتى( استمر مريرها) هذه، وما على الشاعر لو قد آثرَ اليسرَ, فقال: حتى اشتدت قوتها ...والبيت الذي يلي هذا البيت كيف السبيل إلى فهمه دون الرجوع إلى المعجمات؟ :

على حينَ قاربت الثلاثين وانتحت **إلى المرءِ أحداثٌ كثيرٌ شقورها

لنفهم كلمة (الشقور) هذه، والشاعر نفسه يفسر لنا هذه الكلمة بأنّها الأمور؛ فما ضرّه لو اصطنع كلمة الأمور نفسها؛ فأقام وزنه وقافيته ولم يغيّر من جمال الشعر شيئاً.

سكرى الشباب سَبنْتاةُ اللحاظ لها ** فتكُ بنفسي وخمرٌ بين أوصاليّ

وهذا البيت وكلمة (السبنتاة) خاصة فيه كيف استطاع المعاصرون أن يفهموها دون الرجوع إلى معجم من المعجمات؟ ... وأيُّ بأسٍ عليه لو اصطنع كلمة أخرى؟"[2].

فواضح أنَّ طه حُسين أخذ على عبد الله الطيّب استخدام ألفاظ معجميّة

[1] -المرشد ,ص454.

[2] - الشعر في السودان ، عبده بدوي ,ص 161 ،ومقدمة اصداء النيل ص 13

غريبة عند المعاصرين. فكيف كان ردُّ عبد الله الطيّب على هذا النّقد ؟

ردّ فقال :"أمّا بعد يا سيدي فأنا بدويّ حقاً؛ لأنّ أهل السودان الشماليّ كلّهم أقرب إلى البداوة، ولهجتهم الدّارجة فيها غريب كثير، وقد حاكيتها في نظمي كثيراً، واجتهدتُ أن أنقل إلى القارئ لوناً من جزالتها وجزالة قومي، وليعذرني سيدي إن قلت : إنّ أول معرفتي بالعربيّة كانت من طريق اللهجة الدارجة في أناشيدها وشعرها..."[1].

إن المُطلع على مؤلفات عبد الله الطيّب يجد فيها تنويهاً كثيراً بصلة العاميّة السودانيّة بالعربيّة الفصحى ومن هذا قولُه :"وعاميتنا نحن قريبة النسب والروح من الفصيحة"[2].

وقد ردّ عبد الله الطيّب بظرف شعريّ نبيهٍ على مقولات طه حُسين في مشاركته في مهرجان حافظ إبراهيم بمصر عام 1957 م فقال:

أقول وحلقت في الجوِّ عَنسٌ
**رداحُ الشأو مترزةُ الحديدِ

أنا الشادي بشعري أرْيحيّاً ** جهيراً عند مجتمع الوفودِ

من السودان ردتُ سبيل قومي**
بمحكمة من الكلم الشرودِ

وعاتبني على ما قلت طه
**فمعتذرٌ إلى طه قصيدي

إذا أنشأتهُ أحيا جريراً ** وأطرب منه مثل أبي الوليد

سلام الله بالإحسان مصراً ** وأيامٍ كأيام الرشيد[3]

**علاقة الجزالة بالغريب:**

يقول عبد الله الطيّب :"الغريب حلية

[1] ـ الشعر في السودان,عبده بدوي ، ص 161
[2] ـ من سلال اللامعقول، عبد الله الطيب، مجلة الثقافة السودانية ص 102
[3] ـ أصداء النيل ص 237

الشعر، نصَّ على ذلك نقّاده"[1]. وقد أشاع بعض الناس أنّ ديوان أصداء النّيل مشحون بالغريب، فردَّ عليهم عبد الله الطيّب بقوله:" هذا إفكٌ مختلقٌ والديوان بين يدي القارئ شاهد عدلٌ..."[2]. ثم يبين أنّ ما ورد في الديوان من لفظ احتاج إلى تأويل وشرح جاء عفو الخاطر لم يقصده الشاعر ولم يتكلفه ولم يتصيده بالنظر إلى القواميس, وإنّما جرى به قلمه استجابة للمعنى المراد مستدلاً بقول أبي تمّام :"لسان المرء من خدم الفؤاد "[3].

وذكر دافعاً يدفعه إلى الإتيان بالألفاظ الجديدة التي ترفد المعجم المتداول للّغة العربيّة المعاصرة, وقد أوضح ذلك بقوله :"ثم إنّي بعد لأجد لغة اليوم خالية من الألفاظ المعبّرة حقاً ضئيلة الموسوعة ضآلة مؤسفة . فلا بأس، بل يكون ذلك واجباً أن نزوّدها مما يزيدها غنىً ويكسبها قوة على الإفصاح عن دخائل النفوس. وقد يكون من أسباب ذلك النظر إلى أصول البداوة التي لم تُفسد بعد في أعماق لغتنا الدارجة والاستفادة منها في طريق البيان المُعرب، من ذلك مثلاً قولي من كلمة لاميّة عنوانها ذكرى النّيل:

ترافقه من فوقه قزع الطّخا

فالطّخا في لغتنا الدارجة. ولا يضيرها أن أنكرها صفي الدين الحليّ في كلمته المشهورة :

إنّما الحيزبون والدردبيس ** والطّخا والنّقاح والعلطّبيس

لغة تُنفر المسامعُ منها ** حين تروى وتشمئز النفوسُ

إنّما هذه النفوس حديدٌ** ولذيذ

[1] ـ مقدمة أصداء النيل ص 14

[2] ـ المرجع نفسه ص 24

[3] ـ المرجع السابق،ص24

الألفاظ مغناطيـسُ

والكلفة في البيت الأخير لا تخفى، وليس لفظ المغناطيس بأقل نكراً من الدردبيس والعلطبيس، ولكن سيرورته على عهده سوغته عنده, وربَّ عهد آخر ينفر منه, ولعل بعض الناس الآن يقولون (ماغنيت) أخذاً مباشرة عن اللّغة الإفرنجيّة, كقولهم (تكتيك) وتكنولوجيا..."[1]. ولا يخفى عليك أنَّ عبد الله الطيّب ربط جزالة اللّفظ بأصول البداوة الموجودة من لغتنا الدارجة ضارباً المثل بكلمة (الطّخا) في الاستخدام .

وقد أبان عبد الله الطيّب هذا الأمر في مرشده إذ قال :" إنّ النظم إذا أجاده صاحبه قد يسبغ على كلمة وحشيّة رونقاً لا يتهيأ ولا يتأتى إذا وضعنا مكانها كلمة أخرى مألوفة, وقد يتيح لكلمةٍ ثقيلةٍ تكدُّ اللسان من العذوبة ما لا يتوفر لو استبدلناها بأخرى مما يُحسب خفيفاً سهلاً"[2].

ومما يؤكد هذا ما ألمح إليه في ثنائه على قول المتنبي :

وتضحى الحصونُ المشمخراتُ في الذّرى **وخيلك في اعناقهنَّ قلائدُ

لا يخفى عليك استخدام كلمة مشمخرات, ولكن عبد الله الطيّب يرى أنّها مصوِّرة لما أراد المتنبي، ويشير إلى أنّ المتنبي كان عالماً باللّغة متصرفاً فيها يقول: "وقد كان أبو الطيّب عالماً...أجمعوا على أنّه كان من نقلة اللّغة وفي شعره شواهد ذلك ..."[3]

فلا تثريب إذن على أبي الطيّب إن استخدم كلمة مشمخرات إذا استدعاها المعنى في النظم وأعطاها صورة حية وبديعة لخيل سيف الدولة وهن حول

[1] ـ مقدمة أصداء النيل ص 24 – 25

[2] ـ المرشد ، ص466

[3] ـ مع أبي الطيّب ، عبد الله الطيّب ، ط الثانية ، الخرطوم 1975م

الحصون المعلقة في قننِ الجبال .

ولا شك أنَّ هذا الاستخدام الخاص للألفاظ في مواضعها برنين الجزالة هو الذي عناه عبد الله الطيّب عندما قال:"... كانت العربُ تعرف شيئاً يقال له (نَفَس الشاعر) بتحريك النون والفاء...وهو الجسم النغميّ النوريّ الروحيّ الذي يميّز كامل عنترة وكامل لبيد وطويل امرئ القيس وطويل طرفة وزهير..."[1].

**الجزالة والنهضة الأدبية الحديثة :**

إنّ الجزالة اللّغويّة كما يراها عبد الله الطيّب هي أساس لبداية نهضة جديدة تُعيد مجد اللّغة العربيّة مستدلاً بأساس النّهضة التي حدثت في عصر أبي تمّام. قال عبد الله الطيّب في كتابه (كلمات من فاس):" مشكلة زمان أبي تمام... أنّ البداوة العربيّة الصحراويّة كانت قد انفصمت عن مجتمع حضارة العرب. ومشكلة زماننا هذا أنّ اللّغة العربيّة نفسها وهي الأصل في معدن البداوة الأول وفطرتها القُدمى، قد جُعلت توشك أن تنفصم عن مجتمع بنيها, كما قد جُعل هذا المجتمع في فتنة بحضارة بني الأصفر (الذي ليس الآن بالممراض) يريد أن ينفصم عنها.

لعل المخرج من هذه أنّ يكون وجه التماسه الصحيح في رجعةٍ سديدةٍ رشيدةٍ تنظر إلى أبي تمّام وما صنع في الزمان القديم .وتحاول أن تنتفع بروح منهجه لتقيم على مُشابه من نموذجها أساس بداية نهضةٍ جديدةٍ تُعيد على لغة العرب كرامة جزالتها ورصانتها, فتسخو بها القرائح وتجود الملكات. ذلك لعمري خيرٌ من التنكر لأساليبها والزراية على تقاليدها والسخريّة بماضي مجدها في نوع من شعوبيّة روحيّة حديثة خبيثة ومجونٍ

[1] ـ التماسة عزاء ،عبد الله الطيب،الخرطوم ص153

فكريّ حديث خبيث"[1].

ولكم دعا عبد الله الطيّب إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في تعليم الناشئة لتتنزل عليهم بركاته؛ ولتجود ملكاتهم اللّغويّة حتى يكونوا لُحمةً وسداةً لنهضةٍ المستقبل وريادة العصر[2].

كما دعا إلى التحفيظ بطرائق فيها ذوق وفنٌّ وجمال مستدركاً على ابن خلدون وبعض المعاصرين من علماء التربيّة الذين زعموا أنَّ التحفيظ يهلك ملكة التحليل".[3]

**الجزالة في شعر عبد الله الطيّب :**

نجد في أشعار عبد الله الطيّب الجزالة بمعناها الفنيّ مطبقة للمنهج الذي شرحه نظريّاً في نثره ونقده؛ كما نجده ينوّه بذكر لفظ الجزالة ومعناه في شعره. وإليك نماذج من هذا الباب:

يقول في قصيدة من ديوان (أصداء النّيل) جعل عنوانها (الجزالة):

مالك والجزالةَ في زمانٍ** يُحبَّ به من القول الهجينُ

تُبينُ به وليس له سميعٌ** وينظمه سواك فلا يبينُ

فإنَّ ذوي الجزالة قد طواهم** لدى غبرائه الزمنُ الخئونُ

وفي قصيدة من الديوان نفسه جعل عنوانها (شعري) :

شعري عدوّ الجاهلين ومقولي** صلتُ في جنبيَّ نشوةُ شاعرِ

إنّ الذكاء لنعمة محسودةٌ **وأخو الحِجا غرضُ الغويّ السادرِ

وفي ثالثة جعل عنوانها (خمر

[1] ـ كلمات من فاس ، عبد الله الطيب ، ص 19

[2] ـ انظر مجلة التأصيل ، مقال بعنوان ضرورة الرجوع إلى القران ، عبد الله الطيب ، العدد الأول 1994، ص 29–39

[3] ـ من نافذة القطار ، عبد الله الطيب ص 79

البيان):

ألقت إليّ شيوخ يعْرُبَ سرّها **فأنا المجلي في البيان الأولُ

أوتيت كلَّ كريمة مكنونةٍ** غرّاء فيها الجوهرُ المُتنخَّلُ

وقوله في رابعة:

أنا الشادي بشعري أرْيحياً ** جهيراً عند مجتمع الوفودِ

من السودان ردتُ سبيل قومي** بمحكمة من الكلم الشرودِ

إذا أنشأته أحيا جريراً **وأطرب منه مثـل أبي الوليدِ[1]

وقوله في رثاء العقاد:

ما آسى على أسوان إلّا **على العقاد حُـدَّ بها لحيـدا

أجشّ الصوت مشتمل الحنايا ** على حوشية نفرت عنودا[2]

**الخـــاتمـــة:**

عُنيت الدراسة برسم ملامح نظريّة الجزالة اللّغويّة في أدب عبد الله الطيّب قاصدة جمع معالم وسمات هذه النظريّة في سياحة ممتعة ومهيبة في مؤلفاته شعرها ونثرها؛ فانداحت أمامها آفاق أدبيّة بديعة وحقول علميّة بكرة يضيق هذا المقام عن وصف أسرارها العبقريّة.

فالدراسة غير مسبوقة في حدودها البحثيّة وغير مسبوقة أيضاً في استنباط نظريّة لغويّة متكاملة لعبد الله الطيّب في الجزالة اللّغويّة. لم يتأت لي ذلك لولا صحبتي ومحبتي ونظري العلميّ في مؤلفات عبد الله الطيّب منذ زمن الصّبا, ثمّ مهنتي في تعليم اللّغة العربيّة, ثمّ مسالك تدريس الأدب

[1] أصداء النيل,ص 62,65,72.

[2] - ديوان بانات رامة ،عبد الله الطيّب ط 1970 بيروت ، ص 97-90

والبحث الأكاديميّ الجامعيّ.

كل هذا مهّد لي أن أجمع ما أمكن؛ لبيان خصائص هذه النظريّة التي تميّز بها شيخنا عبد الله الطيّب. لذا بدأت الدراسة بتحرير معنى الجزالة في المنظور اللّغويّ عند العلامة عبد الله الطيّب, وتميّز رؤيته في هذا الشأن عن رؤى القدامى والمعاصرين, ثمّ بيانه الاستقرائيّ والعلميّ لمعنى الجزالة الذي ذكره كثيراً في مؤلفاته, ومن هذا قوله:" الجزالة مما يدرك ولا يحصره التعريف على النّحو الذي يرتضيه أصحاب علم المنطق ". وقوله :"الجزالة بنتٌ بيانيّة إيقاعيّة معاً, لصدق التعبير وبداوة روحه ". ثم قوله :" بعض الجزالة من العلم والدُّربة والفصاحة وسائرها إيقاعيّ روحانيّ وجدانيّ معادنه الملكة، وهو هبة من الله ." فهذا بيانٌ واضحٌ في كشف معنى الجزالة وقد فصّلت الدراسة فيه تفصيلاً. أوضحت الدراسة العلاقة بين مفهوم الجزالة وصعوبة الشعر التي أبانها عبد الله الطيّب في ثلاثة أمور أساسيّة ذات صلة قويّة بتحقيق الجزالة وهي صدق المكافحة والرنين والغناء ثمّ البيان.

أبانت الدراسة رؤية عبد الله الطيّب في توافر الجزالة في البيئة السودانيّة نفسها وأثرها على نفث الجزالة في نفوس الشعراء. وأيّده في ذلك كبار النّقاد كالدكتور عبده بدوي والدكتور محمد النويهيّ والدكتور عبد المجيد عابدين وهم ليسوا جميعاً بسودانيين. ثم عرضت الدراسة لما كان بين عبد الله الطيّب وطه حُسين من ود متبادل وتعاطٍ أدبيّ ونقديّ رفيع . تناولت الدراسة علاقة الجزالة باستخدام الغريب في نظريّة عبد الله الطيّب. وقد ردّ على منْ أشاعوا أنّ ديوان أصداء النّيل مشحون بالغريب أو من ذهبوا يتهمون عبد الله الطيّب بأنّه يتباصر بالغريب.

أوضحت هذه الدراسة المنهج الذي

دعا إلية عبد الله الطيّب في سبيل النهوض باللّغة العربيّة في العصر الحديث. هذا السبيل هو الانتفاع بروح منهج أبي تمام في وضع نموذج على منواله في تحري الجزالة حتى تجود القرائح وتسخو الملكات.

وقد دعا عبد الله الطيّب كثيراً إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم في تعليم الناشئة. جاء في ذيل الدراسة ذكر الجزالة في شعر عبد الله الطيّب بمعناها الفنيّ مطبقةً المنهج الذي دعا إليه, ثمّ خُتمت الدراسة بنتائج أهمها ما يلي:

1. إنَّ العلامة عبد الله الطيّب ابتكر نظريّة لغويّة متفردة في مجال الجزالة اللّغويّة.
2. بيّنت الدراسة معالم نظريّة الجزالة عنده؛ إذ إنّ الجزالة بيانيّة إيقاعيّة فيها صدق المكافحة وجهارة البادية وبداوة روحها ورنين ألفاظها ومعدن الجزالة الملكة والعمق الروحانيّ والوجدانيّ والاستعداد الفطريّ وهو هبة من الله. وبعض الجزالة يأتي من العلم والدُّربة والفصاحة كما أنّ للبيئة أثرها فالنفس بنت البيئة.
3. أثبتت الدراسة أنّ عبد الله الطيّب يرى أنّ سبيل نهضة اللّغة العربيّة في زماننا هو الرجوع إلى الأصول التي امتاح منها الأوائل كأبي تمّام. ولكن بوسائل تواكب معطيات العصر.
4. أبانت الدراسة كيف وضّح عبد الله الطيّب سمات الجزالة في البيئة السودانيّة, وكيف أثرت هذه الجزالة في باعث نهضة الشعر العربيّ الحديث محمود سامي الباروديّ .
5. أوضحت الدراسة اعتراف النّقاد العرب المعاصرين بأن البيئة السودانيّة في جزالتها تشبه بيئة

الجزالة في عصور الفصاحة في الأدب العربيّ القديم, وأنَّ كثيراً من الأدب العربيّ القديم لا يتمّ فهمه وإدراكه إلّا بالدّراسة الحقليّة في بيئات السودان البدويّة, صرّح بذلك محمد النويهيّ وغيره من النّقاد.

6. توصلت الدراسة إلى توضيح تميّز مفهوم مصطلح الجزالة عند عبد الله الطيّب عن مفهوم مصطلح الجزالة عند القدامى ذي الأوجه المتشعّبه.

7. أوضحت الدراسة أنّ مفهوم الجَرْس عند عبد الله الطيّب أوسع في دلالته من مصطلحات القدامى عندما يذكرون الفصاحة والجزالة وحُسن الرصف وشدة الأسر وغير ذلك، فالجَرْس ينضوي تحته كل ما يتعلق بدندنة الألفاظ في البيان الشعريّ . ويرى أنَّ النّقاد القدامى ضلّ عنهم أنّ يستعملوا كلمة الجَرْس استعمالاً اصطلاحيّاً، فهي أدلُّ من كلمة الفصاحة.

8. أثبتت الدّراسة أنَّ عبد الله الطيّب يرد في شعره ما يسمى بالغريب ولكنّه يرد وفق المعنى المراد. إنّ عبد الله الطيّب لا يتباصر بالغريب ولا يتصيده من المعاجم، فهو بدويّ من أهل السودان الشمالي؛ إذ كلهم أقرب إلى البداوة، وكان هذا واضحاً في رده على ما قاله طه حُسين وآخرون.

9. أبانت الدّراسة أنّ عبد الله الطيّب يسعى إلى رفد وتغذية موسوعة اللّغة العربيّة المعاصرة بالألفاظ المعبّرة بسبب ضآلة هذه الموسوعة في زماننا, فالألفاظ الجديدة قد تكون غريبة في زمان معهودة سهلة في زمان آخر.

10. أظهرت الدراسة أنّ عبد الله الطيّب يستدرك على فحول

القدامى من علماء العربيّة من أمثال عبد القاهر الجرجانيّ وابن الأثير وغيرهما، ويبيّن أحياناً خطل ما ذهبوا إليه, ودونك في هذا حديثه عن مفهوم النظم وفصاحة الألفاظ في ردّه على عبد القاهر وابن الأثير، وتفنيده لنظريّة ابن خلدون القائلة :"إنَّ التحفيظ يهلك ملكة التحليل".

11. أثبتت الدراسة بنماذج من نصوص شعريّة من شعره كيف لهج بالدعوة إلى الجزالة وكيف طبّقها في شعره وكيف كشف عن سماتها من خلال ردّه شعراً ونثراً على مقالات النّقاد.

رحم الله العلّامة أستاذ الأجيال عبد الله الطيّب وجزاه الله خيراً كثيراً؛ لما قدّمه من جلائل الأعمال في خدمة القرآن والتعليم.

## المصادر


1. التماسة عزاء، عبد الله الطيّب، الخرطوم 1975م.
2. أصداء النّيل (ديوان شعر)،عبد الله الطيّب، ط الخامسة، الخرطوم 1992م.
3. بانات رامة(ديوان شعر)، عبد الله الطيّب, بيروت 1970م.
4. البنيّة اللّغويّة في الشعر العربيّ المعاصر، إبراهيم السامرائيّ، الأردن 2002م.
5. الشعر في السودان، عبده بدوي، ط عالم المعرفة 1980م.
6. في الثقافة السودانيّة (دراسات ومقالات) ,علي محمد عثمان وآخرون, الخرطوم 1990م.
7. في الشعر السوداني، عبد المجيد عابدين، الدار السودانية بلا تاريخ نشر.
8. الكتاب، سيبويه، ت عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط3، 1983م.
9. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ت علي محمد البجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط الحلبي مصر 1971م.
10. كلمات من فاس، عبد الله الطيب، الخرطوم, ط الأولى 1991م.
11. مباحث في النظرية الألسنيّة, ميشال زكريا, ط2 لبنان 1985م.
12. مجلة التأصيل، (مقال) ضرورة الرجوع إلى القرآن في التعليم، عبد الله الطيّب، العدد الأول، الخرطوم 1994م.
13. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيّب، ط الأولى، بيروت 1970م.
14. مع أبي الطيب، عبد الله الطيّب، ط الثانية، الخرطوم 1975م.
15. من نافذة القطار، عبد الله الطيّب ،ط المكتبة الوطنيّة الخرطوم 2011م.

# واقع الإحصاء السكاني في العراق

## دراسة في البيانات الديموغرافية وأبعادها على التخطيط والتنمية

فراس عباس فاضل البياتي
أستاذ علم اجتماع السكان المساعد
قسم علم الاجتماع – كلية الآداب
جامعة الموصل – العراق

## الملخّص

إن اللغة المشتركة بين التخطيط والتنمية من جانب والبيانات السكانية من جانب اخر، من أهم المنطلقات الأساسية في تحديد الاسس التنموية والتي ينبغي إن تجمع على أساسها البيانات السكانية. وان قصور البيانات السكانية، وجمعها في اي مجتمع تنعكس ابتعاده السلبية على واقع التخطيط والتنمية فيه، وبسبب الظروف الاستثنائية للمجتمع العراقي بات

القصور في جمع هذه البيانات ودقتها أمراً لا يختلف عليه اثنين وأصبحت من المشكلات التي تعاني منه المجتمع، والتي سنحاول تسليط الضوء على طبيعة هذه المشكلة وأسبابها وأبعادها وإيجاد بعض الحلول من خلال مقترحات بحثنا.

- **هدف البحث**

لكل بحث أو دراسة علمية أهداف تسعى إلى تحقيقها بشكل علمي ومنهجي، ويهدف بحثنا إلى ما يلي:-

1. الكشف عن أسباب القصور في البيانات السكانية في العراق.
2. الوقوف على أبعاد القصور في البيانات السكانية في العراق على عمليتي التخطيط والتنمية .
3. فضلا عن أهداف أخرى سيحققه البحث في طياته.

- **أهمية البحث**

لا شك في إن توفير بيانات عن السكان حسب فئاتهم العمرية ونوعهم (ذكور وإناث) يساهم في تحليل الخواص الديموغرافية وتأثيرها ليس في معدلات المواليد والوفيات واتجاه الخصوبة وحركة الزيادة الطبيعية السنوية وأمد الحياة المتوقع للسكان، ومن ثم الخواص الاجتماعية وتأثيرها المتمثل في احتياجات السكان من الخدمات التعليمية والصحية والسكن والنقل والكهرباء والماء وباقي الخدمات المجتمعية، ومن ثم الخواص الاقتصادية كـ(خط الإنتاج والاستهلاك والطلب في السوق)، تكمن أهمية البحث في، انه يسلط الضوء على مشكلة اجتماعية ديموغرافية تعكس أبعادها على الواقع التخطيطي والتنموي للمجتمع العراقي.

- **منهجية الدراسة**

يصنف البحث من البحوث الوصفية التحليلية التي تعتمد أكثر من منهج لبلوغ أدق لنتائج بصورة علمية، وصف الباحث المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي.

**توصل البحث الى استنتاجات أهمها:-**

1. أهمية الإحصاءات السكانية في تنمية المجتمع .
2. عجز الواقع الإحصائي للسكان في المجتمع العراقي بسبب الإهمال وانشغال الحكومة بأمور لها الأولوية في البلد.
3. كان لعدم اجراء الإحصاءات السكانية والاعتماد على التخمينات الإحصائية إبعاده السلبية على بعض مشاريع التنموية المتأخرة.

**مقدمة**

تعتبر البيانات السكانية المواد الخام في علم السكان، وتتوقف دقة النظرية السكانية على دقة البيانات المجموعة، لذلك فان اي خلل في عملية جمع البيانات من مصادرها الأولية يسبب خللا على مستوى النظرة والقوانين التي تربط بين المتغيرات السكانية، والخلل المبني على معلومات خاطئة من البيانات السكانية أو قصور هذه البيانات يتجاوز حدود النظرية إلى مجال التخطيط والتنمية في المجتمع، فالخطط التنموية تعتمد بشكل أساسي في رسمها على أرقام مغلوطة تكون خططاً غير واقعية، وتصبح البرامج التنفيذية المرتبطة بالخطط لا تنسجم والواقع السكاني، مما يربك العملية التنموية وترمي بظلالها السلبية على تنمية المجتمع وتقدمه.

**الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي للبحث.**

- **مشكلة البحث**

إن اللغة المشتركة بين التخطيط والتنمية من جانب والبيانات السكانية من جانب اخر، من أهم المنطلقات الأساسية في تحديد الاسس التنموية والتي ينبغي إن تجمع على أساسها البيانات السكانية، لأنها تؤدي إلى إيجاد قاعدة فكرية بين العاملين في مجال التخطيط والتنمية والإدارات المنفذة والباحثين، ويحقق نسقا فكرياً وعمليا سليما تحدد على أساسه عملية جمع البيانات من الواقع.

وان قصور البيانات السكانية وجمعها في اي مجتمع تنعكس ابتعاده السلبية على واقع

التخطيط والتنمية فيه، وبسبب الظروف الاستثنائية للمجتمع العراقي بات القصور في جمع هذه البيانات ودقتها أمراً لا يختلف عليه اثنين وأصبحت من المشكلات التي تعاني منه المجتمع، والتي سنحاول تسليط الضوء على طبيعة هذه المشكلة وأسبابها وأبعادها وإيجاد بعض الحلول من خلال مقترحات بحثنا.

- **هدف البحث**

لكل بحث أو دراسة علمية أهداف تسعى إلى تحقيقها بشكل علمي ومنهجي، ويهدف بحثنا إلى ما يلي:-

4. الكشف عن أسباب القصور في البيانات السكانية في العراق.
5. الوقوف على أبعاد القصور في البيانات السكانية في العراق على عمليتي التخطيط والتنمية .
6. فضلا عن أهداف أخرى سيحققه البحث في طياته.

- **أهمية البحث**

لا شك في إن توفير بيانات عن السكان حسب فئاتهم العمرية ونوعهم (ذكور وإناث) يساهم في تحليل الخواص الديموغرافية وتأثيرها ليس في معدلات المواليد والوفيات واتجاه الخصوبة وحركة الزيادة الطبيعية السنوية وأمد الحياة المتوقع للسكان، ومن ثم الخواص الاجتماعية وتأثيرها المتمثل في احتياجات السكان من الخدمات التعليمية والصحية والسكن والنقل والكهرباء والماء وباقي الخدمات المجتمعية، ومن ثم الخواص الاقتصادية كـ(خط الإنتاج والاستهلاك والطلب في السوق)، تكمن أهمية البحث في، انه يسلط الضوء على مشكلة اجتماعية ديموغرافية تعكس أبعادها على الواقع التخطيطي والتنموي للمجتمع العراقي.

- **منهجية الدراسة**

يصنف البحث من البحوث الوصفية التحليلية التي تعتمد أكثر من منهج لبلوغ أدق لنتائج بصورة علمية، وصف الباحث المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي.

- **هيكلية البحث**

يتضمن البحث ثلاث فصول ثم الاستنتاجات وأخيرا التوصيات، إذ يتضمن الفصل الأول **(الإطار النظري المنهجي للبحث)** وينطوي على : المقدمة، ومشكلة البحث، وهدف البحث ،وأهمية البحث، وهيكلية البحث،أما الفصل الثاني**(المصادر الأساسية للمعطيات السكانية وقصورها)** وينطوي على: التعداد السكاني، والتسجيل الحيوي، البحث والاستقصاء بالعينة، وأخيرا بحوث ميدانية ودراسات واقعية، إما الفصل الثالث تضمن **(قصور البيانات السكانية في العراق)** وتضمن أهم أسباب القصور ،أما الفصل الرابع **(تحليل أبعاد القصور على التخطيط والتنمية في العراق)**، تضمن تحليلا علميا لأبعاد القصور في البيانات على التخطيط والتنمية في العراق،ومن ثم الاستنتاجات، والمقترحات.

**الفصل الثاني : المصادر الأساسية للمعطيات السكانية وقصورها .**

اختلفت مصادر البيانات السكانية باختلاف المجتمعات، وان هذا المجال ليس مجالا حديثا حيث يسجل التاريخ العديد من التجارب التي أجريت في الحصول على البيانات السكانية، والسؤال المطروح هو **(من أين يأتي عالم السكان بياناته ومعلوماته عن سكان المجتمع)؟**

يشير التاريخ الإنساني أن الحضارات القديمة في (مصر، وبابل، والصين) عرفت أسلوب تعداد السكان، كما أن الرومان القدامى كانوا يحصون إعداد السكان وكان ذلك من اجل الأمور الآتية : (الضرائب، والبحث عن الشباب الصالح للجندية في المقام الأول).

ومن المصادر التي يعتمد عليها الباحث في مجال الدراسات السكانية هي :-

**أولا: التعداد السكاني (المعطيات الإحصائية)**

تعتبر المعطيات الإحصائية (Statistical Date) بمثابة المادة الخام للدراسات السكانية، لأنها توضح كم من الناس أو الإحداث في تاريخ معين أو في فترة زمنية معينة فهي تمدنا بالإعداد الكمية الكافية لتحقيق بعض إغراض التحليل السكاني مثل (إعداد المواليد التي وقعت في الأعوام السابقة، والفئات العمرية للسكان)، والواقع أن ترجمة كلمة التعداد بالانكليزية (Census) مستمدة أصلا من الكلمة اللاتينية (Censure) إي بمعنى القيمة، أو الضريبة.

تعداد السكان هو أهم مصدر من المصادر لدراسة السكان وخصائصهم وتغيراتهم، ولعل تعدادات السكان هي أولى العمليات الإحصائية المهمة التي فكر فيها الإنسان منذ القدم لإغراض متعددة (الخدمة العسكرية، أو لجمع الضرائب، أو للقوة العاملة) وتجدر الإشارة إلى أن أغلبية دول العالم تجري تعدادات لسكانها منذ القدم والى وقتنا الحاضر، والتعداد هو "مجموع العمليات لجمع وأعداد ونشر المعلومات الديموغرافية عن كافة الأشخاص في القطر

أو في منطقة معينة في زمن معين " [1].

**وقسم المختصون التعداد إلى ثلاثة نماذج وهي:**

1- **التعداد النظري :** ويعني حصر السكان بحسب أماكن إقامتهم، أي أن أفراد الأسرة الغائبون أو المهاجرون يدخلون في التعداد مع الأفراد الموجودين.

2- **التعداد الفعلي :** ويعني حصر السكان كما هم في أماكنهم عند التعداد، بصرف النظر عن كونهم من سكان مكان التعداد أو غرباء عنه فالإفراد الوافدون إلى مكان التعداد منذ وقت قريب أو بعيد يدخلون في التعداد الفعلي.

3- **التعداد النظري والفعلي :** ويعني تسجيل الأفراد في كلا الحالتين . وهو المستخدم في التعدادات السابقة في للعراق [2].

وللتعداد فوائد عديدة هي تعيين الالتزامات العسكرية والضريبية والعملية للأفراد في المجتمع، ثم التعرف على عوامل كالهجرة والخصوبة والخصائص الاقتصادية، ومحددات الأمن الاجتماعي التي تصاحب عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، سيما توفير المعطيات حول الخصائص الهامة للسكان والتي تحتاجها الحكومات والمصالح والتعليم وهيئات البحث وجمهور المواطنين لرسم الخطط العلمية ومواجهة المشاكل الحياتية.

---

([1]) عبد الحسين زيني، وآخران، الإحصاء السكاني ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد، 1980، ص 20 –21.

([2]) فراس عباس فاضل البياتي ، علم اجتماع السكان ، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت ، 2012، ص47.

**ثانيا : التسجيل الحيوي**

يمثل التسجيل الحيوي المصدر الثاني المهم من مصادر المعلومات السكانية بعد التعداد السكاني، وهي عملية ترد أصولها إلى العصور الوسطى، حيث جمعت في ذلك الوقت بعض الإحصائيات الحيوية من طبقات سكانية معينة، وبعدها أصبح نظام التسجيل الحيوي نظاما عالميا تلتزم به كافة الدول رغم ذلك لم تتمكن إلا دولا قليلة من إقامة نظم كاملة للتسجيل الحيوي، اختلفت تعريفات التسجيل الحيوي بحيث يذهب بعضها إلى أن المقصود بتسجيل الإحداث الحيوية التي تقع خلال سنة ميلادية، وهي عملية إجبارية تتم عن طريق مشروعات التسجيل المصممة لقيد جميع هذه الأحداث من (مواليد، ووفيات، وهجرة، وحالات الزواج والطلاق) أثناء وقوعها[1] .

تشمل أهمية التسجيل الحيوي بأنه مصدرا هاما وأساسياً ومباشرا للمعطيات السكانية حول عوامل نمو وتغير السكان لا سيما عوامل المواليد والوفيات والهجرة، كما تساعدنا على قياس التغيرات في السكان بين الفترات المختلفة من حيث الحجم والتركيب والتوزيع، والكشف عن اتجاهات التطور في التوليفة السكانية للمجتمع حاليا ومستقبلا لتمهيد خطط التنمية .

**هنا يطرح سؤال هو ما الفرق بين التسجيل الحيوي والتعداد السكاني؟**

1- التعداد السكاني هو تسجيل للأحداث، في حين إن التسجيل الحيوي تسجيل للأشخاص.

(1) نوما ماك آرثر ، المدخل للإحصاء السكاني ، ترجمة : عبد الحليم القيسي،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، 1981، ص 50.

2- أن التسجيل الحيوي عملية إجبارية ومجالا أضيق من مجال التعداد.

3- يعتبر التسجيل الحيوي عملا مكتبيا موزعا على العام بطوله، في حين أن التعداد السكاني يحتاج لسنوات لتنفيذه [1] .

**ثالثا : البحث والاستقصاء بالعينة**

وهو أسلوب علمي للحصول على البيانات السكانية فهو يشبه من ناحية التعداد السكاني لأنه يعتمد على سؤال المبحوثين عن خصائصهم، وقد يشبه من ناحية أخرى أسلوب التسجيل الحيوي إذ يسال الناس عن الواقعات التي حدثت لإفراد أسرهم أو لجيرانهم في شهر أو سنة سابقة، وعادة ما تستخدمه البحوث الاجتماعية للحصول على عينة من السكان لدراسة ظاهرة اجتماعية ما [2]، وتكمن أهميتها في تسجيل البيانات اللازمة للوقوف على بعض جوانب الأحوال السكانية لمجتمع منعزل لم يتعرض لعمليات التسجيل الدورية وبشكل منتظم، فضلا عن أن طريقة المسح فهي محاولة تجريب نموذج مبتكر لتسجيل الوقائع الحيوية للتأكد من مدى فاعليته.

وقد بات من اليسير اليوم أن يحصل الإنسان على حقائق أساسية عن السكان لأية دولة بصورة عامة، من خلال الكتاب الديموغرافي السنوي الذي تصدره الأمم المتحدة سنويا، وكل مجلد في هذا الكتاب مخصص لعرض الأرقام التفصيلية المتعلقة بقسم واحد من أقسام الديموغرافيا مثل (الوفاة، أو الخصب، أو نمو السكان) كما يصدر مكتب

(1)فراس عباس فاضل البياتي ، الاتجاهات النظرية الحديثة في علم اجتماع السكان، المؤسسة الجامعية مجد للطباعة والنشر، بيروت ، 2011، ص97.

(2) علي عبد الرزاق ألجلبي ، علم اجتماع السكان، ط1، دار المعارف المصرية، مصر، 1985، ص 13.

بحوث السكان بجامعة برنستون نشرة دورية تسمى دليل السكان .

**رابعا: بحوث ميدانية ودراسات واقعية**

توفر المصادر السابقة للباحث في مضمار الدراسات السكانية بيانات جاهزة للتحليل، يجب ان يلتفت اليها قبل ان يقرر استخدام مصادر البحوث الميدانية و الدراسات الواقعية في دراساته السكانية، غير انع ذا النواع من مصادر البيانات السكانية يتيح للباحث مجالات، لا توفرها له المصادر السابقة، فمن طبيعة البحوث الميدانية انها تعتمد على افتراضات نظرية تجمع البيانات على أساسها بعكس مصادر التعدادات العامة للسكان وعمليات التعداد بالعينة والسجلات وخلافها، حيث تعرض الواقع كما هو دون الاعتماد على افتراض يربط مابين المتغيرات، لذلك قد يغيب بعض البيانات في هذا النوع الأخير من المصادر، مما يدفع الباحث إلى صنع افتراضاته الخاصة به، والنزول الى الميدان من اجل جمع البيانات وتبويبها وتحليلها استنادا إلى الإطار النظري الذي صممه[1].

**الفصل الثالث: قصور البيانات السكانية في العراق**

لا يمكن الحصول على إحصائيات سكانية للعراق دقيقة قبل الإحصاء السكاني لعام 1935، والذي يعد أو إحصاء سكاني رسمي في العراق، أما الإحصاءات السكانية المتوفرة قبل هذه الفترة فهي لا تعدو أن تكون تقديرات شخصية يعود أقدمها إلى عام (1866) وهي تقديرات تنقصها الدقة، ولا يمكن قبولها على أنها إحصاءات

(1) صفوح الأخرس، علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980، ص31.

موثوق بها، واهم هذه التقديرات المعروفة هي تقديرات القناصل البريطانيين التي كانوا يبعثون بها إلى حكوماتهم[1] .

وما لا يخفى على الباحثين في هذا المجال أن العراق شهد إلى يومنا هذا (سبعة) تعدادات أو إحصاءات سكانية بدءً من عام 1935 وانتهاءً بعام 1997، ولم يجري إحصاءات موثقة منذ ذلك الوقت _اي عام 1997_ بسبب الظروف الاستثنائية للبلد بل اعتمد على الإسقاطات السكانية التي عادة ما تكون عرضة للكثير من الأخطاء،وتعد الإحصاءات الأربعة (1947_1957_1965_197 7) قد استخدمت نتائجها للأغراض الإدارية لفترة طويلة تقارب 30 عاماً.

- **القصور في البيانات الديموغرافية**

يعد العراق من الدول النامية التي تعاني من مشكلات في المنظومة الإحصائية للسكان التي باتت تعرقل عمليات التخطيط والتنمية، ويمكن إجمال أهم أسباب هذه المشكلات بما يلي:-

**1. الظروف الطبيعية**

لعل من أسباب عدم دقة البيانات السكانية الظروف الطبيعية للبلد، التي تحول دون بلوغ الدقة في الإحصاءات، من خلال عدم الوصول الى بعض المناطق لوعورتها كان تكون مناطق (جبلية، أو غابات، أو تكون مناطق مأهولة بمجتمعات متنقلة بصورة دائمية عبر الاراضي بحثا عن العيش كـ"البدو")، ومما يضاعف خطورة هذا الوضع عدم توفر الطرق

(1) عبد الحسين زيني، وآخران، الإحصاء السكاني ،مصدر سابق، ص 57.

المعبدة، والموصلات التي من شانها ان تسهل وتخفف من هذه الصعوبات وتسهل بالتالي التنقل للفرق الاحصائية من منطقة إلى أخرى سواء لغرض العملية الاحصائية نفسها، أو للتمهيد لهذه العملية، والتي بدورها تقلل من اجتماع الوقوع في الأخطاء.

فضلا عن ذلك تشتت القرى الصغيرة في مناطق نائية ومعزولة الواحدة عن الاخرى، ويعزى هذا التشتت الى أسباب متنوعة ولعل الانخفاض الشديد في كثافة السكان بصورة عامة من أهم هذه الأسباب، بالإضافة الى الحالة العامة للتخلف ونقص استغلال الموارد الطبيعية التي تجعل من الضروري تكتل السكان وتركزهم في مناطق محدودة دون سواها[1].

## 2. الظروف الاجتماعية والثقافي

إن الواقع الاجتماعي والثقافي في المجتمع يلعب دوراً هاماً في المجتمعات وتحدد مسيرتها نحو التطور والتقدم، ولما كان الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع العراقي يعاني الكثير من التصدعات والمشكلات، واما كان الوضع الاجتماعي متأخراً في الكثير من المناطق السكانية وبخاصة القرى والأرياف، على النطاقين العام والنطاق الخاص، الذي شانه ان يقود إلى نتائج سلبية في هذا الشأن والشؤون السكانية الأخرى، ولعل تدهور الوعي الاجتماعي وانخفاض المستوى التعليمي والثقافي في لدى سكان المجتمع العراقي انعكس سلباً على الواقع الديموغرافي المتمثل في الواقع الإحصائي، ولعل ارتفاع

(1) منصور الراوي ، دراسات في السكان والتنمية في العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1989، ص13.

معدلات الأمية في المجتمع أضحى بضلاله على الواقع الديموغرافي والتنموي للمجتمع، فالتعليم يرفع من المستوى الثقافي للفرد، وسنوات الدراسة تعد الركائز الأساسية في تطوير المجتمع وتنفيذ خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية إذ تساعد على اتباع افضل السبل الصحية والغذائية التي تتطلبها حياة الانسان، مما يضمن لهم العيش ويبعد عنهم شبح الموت، ولكننا نجد ان التعليم حاله حال غيره من العوامل الاجتماعية التي اثر فيها الأوضاع الاستثنائية للمجتمع العراقي، وفي ضوء المؤشرات الإحصائية التي سجلتها المسيرة التعليمية في العراق خلال العقد الاخير من القرن العشرين الى وقتنا الراهن يتضح ان القطاع التعليمي يعاني من تدهور مما سبب ارتفاع معدلات الامية[1].

وخير مثال على ان تدهور الوضع الاجتماعي والثقافي له اثره السلبي على النظام الإحصائي الديموغرافي، كانت الأسر لا تقوم بتسجيل ولادات الإناث بصورة دقيقة، وكاملة، واعتقاد الناس ان الهدف من الإحصاء يقتصر على التجنيد العسكري، أو لأجل جباية الضراب، فضلا عن خوف السكان من الحسد اذا ما عد وحصر املاكه، ونضيف إلى ما تقدم صعوبة استجواب الاناث مكن قبل عدادي الاحصاء الذكور خاصة، ان الأسطر السابق وضحت بشكل مختصر انخفاض الوعي لدى سكان المجتمع بأهمية البيانات السكانية في تحقيق التقدم والرفاه للمجتمع

(1) فراس عباس فاضل ألبياتي، مورفولوجيا السكان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2009، 215.

لأنه أساس هام ف رسم الخطط التنموية.

**3. آلية العمل والكفاءة**

تعد الأمم المتحدة الظروف العملية في استقصاء البيانات ،من أهم العوامل المؤثرة في دقة البيانات السكانية من عدمها، والية العمل في الحصول على البيانات الديموغرفية متنوعة أهمها (الأجهزة المستخدمة، كفاءة العاملين في الحصول على البيانات، وطرق العمل والياته التنفيذية)، وتصف الامم المتحدة دول بلدان الاسكوا (بلدان الشرق الأوسط) بأنها تعاني من تدني في آلية العمل في الحصول على البيانات السكانية، وخاصة تدني كفاءة العاملين في أجهزة الإحصاء السكاني، وتدني المستوى الوظيفي كذلك، وشحه استخدام التكنولوجية في تبويب البيانات السكانية، وتسعى جاهدا في التأكيد على رفع المستويات الوظيفية والفنية للعاملين في هذا الجانب[1] .والعراق واحد من تلك الدول التي تعاني من قصور حاد في الواقع العملي في هذا الجانب، حيث الطرق التقليدية في الحصول على البيانات السكانية، واستخدام السجلات في تبويبها وتسجيلها دون التسجيل الالكتروني مما يعرض هذه السجلات الى التلف والتمزق مع مرور الوقت، بسبب سوء الحفظ، وهذا فعلا ما وجدته لدى تحضيري لرسالة الماجستير التي تطلبت مني الحصول على البيانات من سجلات وفيات الأطفال في المستشفيات ومكاتب التسجيل الحيوي عام 2003.

(1) الأمم المتحدة ، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ، واقع التسجيل المدني والإحصاءات الحيوية في دول منظمة الاسكوا وتوصيات تطويرها ، النشرة السكانية ، العدد 4، عمان ، 1993، ص5.

**4. الظروف الاقتصادية**

إن حجم الإنفاق على انجاز عمل يعد من الأمور الأساسية لنجاحه، ولإنجاح عملية استقصاء البيانات السكانية لابد من توفير الدعم الاقتصادي والإنفاق لسد كافة التكاليف المرجوة في ذلك.

ويعد القصور في حجم الإنفاق المادي على عملية جمع واستقصاء البيانات من العوامل المؤثرة سلبا على عملية الحصول على قاعدة بيانية سكانية للبلد، واغلب دول العالم خاصة الدول النامية منها، وبعض الدول المتقدمة تعاني من مشكلات اقتصادية تنعكس تأثيرها على الواقع الإحصائي السكاني لها [1]، ويبدو ان التكاليف فرض الامن وحماية السكان أثرت على الواقع الاقتصادي للعراق وأخذت النصيب الأكبر من الميزانية، مما جعلت الاولوية في الإنفاق على الواقع الأمني يطغي على الامور الاخرى ومن بينها الإحصاء السكاني الذي أهمل انجازه منذ عام 1997.

**5. الأوضاع السياسية**

ان الاستقرار السياسي لأي مجتمع يقود سكانه الى تحقيق الامن والرفاه ونجاح الخطط التنموية، ولعدم الاستقرار السياسي (الامني) في العراق، وانشغال الحكومة بفرض الامن اثر سلبا على الواقع الاحصائي (التعداد) مثلا، فضلا عن تعرض الكثير من العاملين في الجانب الاحصائي (العدادين) اثناء التحضير للإحصاءات الى عمليات قتل واعتداءات مختلفة عرقلت بذلك انجاز هذا العمل الهام .

(1) طه حمادي ألحديثي، جغرافية السكان، ط2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة الموصل، العراق، 2000، ص44.

**الفصل الرابع: تحليل أبعاد القصور على التخطيط والتنمية في العراق**

بات واضحا الانعكاسات السلبية لواقع القصور في البيانات الديموغرافية على عمليتي التخطيط والتنمية، وخاصة في العقد الأخير، مازالت الأحوال المعيشية لسكان العراق تعاني التدهور والتدني فالملاحظ للواقع الخدمي، والواقع الصحي،والواقع التغذوي، والواقع التربوي، فالتدهور يسري في مفاصل الحياة ومؤسسات المجتمع وذلك لنقص الخطط التنموية أو قصورها بسبب القصور في البيانات الديموغرافية التي تعد من الأسس والمرتكزات الأساسية في رسم الخطة التنموية. ويمكن تحليل ذلك من خلال ما يلي :-

**1. التعداد السكاني في العراق**

لم يجري العراق تعدادا سكانيا منذ عام 1997م، ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا 2010م، اعتمد الدولة على التخمين الإحصائي القابل للأخطاء في رسم بعض الخطط دون مراعاة النمو الحقيقي لسكان المجتمع، فضلا عن التركيب النوعي والتركيب الجنسي لسكان المجتمع، لان التعداد (بصورته الدقيقة والعلمية الحديثة)، أكثر العمليات الإحصائية دقة في بيان حجم السكان ونموه وصفاته وتوليفته.

إن اعتماد العراق على الإسقاط السكاني والتخمين السكاني في بيان حجم السكان أوقعه في القصور في جمع المعلومات الدقيقة مما انعكس سلبا على خطط ومشاريع التنمية فيه، فمثلاً نلاحظ ارتفاع معدلات البطالة في العراق بسبب قلة

فرص العمل وسوء التخطيط التنموي وذلك لعدم دقة الإحصائيات السكانية لبيان حجم القوى العاملة في العراق، ومثال أخر نلاحظ في تقارير وزارة التربية مثلا أنها تبني المئات من المدارس سنويا إلا إننا نجد أطفالنا يفرشون الأرض في الحصة التعليمية، أو نلاحظ أن ما يزيد عن (60) طالبا في صف واحد لا يسع إلا لـ(30) طالبا،ولأسباب عديدة عجز العراق عن إجراء تعداد سكاني وفق مواصفات عالمية عالية الجودة تمثلت (الانفلات الأمني، وتعرض الكثير من كوادر المتخصص لإجراء العملية التعدادية إلى القتل، فضلا عن تخوف الناس من عملية جمع البيانات وذلك لعدم إيمانها بالجهة الجامعة للبيانات).

**2. التسجيل الحيوي**

رغم حداثة موضوع التسجيل الحيوي في العراق مقارنة بالتعداد السكاني إلا انه لا يخلوا من القصور والعيوب التي انعكست على الواقع المجتمعي في العراق، فالتسجيل الحيوي في العراق يتم وفق سجلات ورقية مقسمة إلى تفرعات معلوماتية كاسم المولود وجنسه واسم الأب .... وغيره من المعلومات هذه السجلات إما تكون في المستشفيات، أو في مراكز التسجيل الحيوي، يقوم الموظف بتسجيل المعلومات فيها،وما يعيب هذا النوع من التسجيل هو عدم استخدام التسجيل الالكتروني، فضلا عن إن الكثير من الصفحات لاتملئ بالمعلومات بشكل كامل، وذلك بسبب قصور الموظف بأهمية هذه المعلومات، ونضيف إلى ما تقدم إن هذه السجلات معرضة

للتلف بسبب سوء خزنها، وهذا ما وجده الباحث فعلا حينما زار المستشفيات والمراكز الخاصة بالتسجيل عام 2003 لاستقصاء المعلومات عن وفيات الأطفال في رسالته للماجستير اذ إن اغلب السجلات تالفة من قبل الحيوانات القارضة (الفأر).

من جانب آخر إن الكثير من الأسر لا تقوم بتسجيل الأحداث الحيوية لها (الولادة_ والوفيات) وخاصة وفيات الأطفال، بسبب قلة وعيها الثقافي، مما ينعكس سلبا على الواقع الكمي للإحصاء ومعطياته، وان ما تقدم بات انعكاسه على الإحصائيات السكانية فنلاحظ في الآونة الأخيرة تباين التقارير الإحصائية فوزارة التخطيط تنجز تقاريرها للإحداث الحيوية تختلف في معدلاتها عن تقارير وزارة الصحة في نفس الموضوعات، والتقارير التي تنجزها وزارة الصحة تختلف في معطياتها الحيوية عن تقارير منظمة الصحة العالمية وهكذا والسبب هو قصور البيانات السكانية.

**3. البحث والاستقصاء بالعينة**

اعتمد العراق اعتمادا كليا في الآونة الأخيرة على المسوحات العينية لاستقصاء البيانات السكانية وهذا بدوره أربك الواقع الإحصائي السكاني، لأنها معلومات جزئية لا تمثل الواقع الحقيقي لسكان العراق، وفي عام 2004 أجرت وزارة التخطيط مسحا للأحوال المعيشية في العراق تضمنت في طياته مسحا للأحوال المعيشية لـ 21668 أسرة عراقية من مختلف محافظات العراق باستثناء محافظات اربيل ودهوك والسليمانية،بمساعدة المنظمات الدولية الا إن هذا المسح لا يعكس الواقع الحقيقي لأحوال

السكانية للعراق ولا تعبر عن المعطيات الإحصائية.

**4. بحوث ميدانية ودراسات واقعية**

يعاني العراق من الدراسات العلمية والبحوث في هذا الجانب إذ مازالت المحاولات البحثية لا ترقى وأهمية الموضوع (السكان)، فالدراسات عن سكان العراق قليلة جداً، لا ترتقي وأهمية هذا الموضوع الحيوي، فهناك موضوعات ديموغرافية هامة جداً تعكس الواقع السكاني للمجتمع العراقي لم يتطرق أليه الباحثون في هذا المجال كـ(السلوك الإنجابي للمرأة، والعقم، والعوامل المؤثرة في النمو السكاني، والإعالة... وغيرها )، فمازال القصور الأكاديمي واضحا في هذا الجانب.

ولا شك في إن قصور البانيات السكانية في العراق لها ابعادا على عمليتي التخطيط والتنمية لان توفير بيانات عن السكان حسب فئاتهم العمرية ونوعهم (ذكور وإناث)، يساهم في تحليل الخواص الديموغرافية وتأثيرها ليس في معدلات المواليد والوفيات واتجاه الخصوبة وحركة الزيادة الطبيعية السنوية وأمد الحياة المتوقع للسكان، ومن ثم الخواص الاجتماعية وتأثيرها المتمثل في احتياجات السكان من الخدمات التعليمية والصحية والسكن والنقل والكهرباء والماء وباقي الخدمات المجتمعية، ومن ثم الخواص الاقتصادية كـ(خط الإنتاج والاستهلاك والطلب في السوق)، واهم ابعاد قصور البيانات السكانية على التخطيط والتنمية في العراق تتجلى في ما يلي:

**1. البعد الديموغرافي**

لا يختلف اثنان على ان عدم إجراء التعداد السكاني القى

بظلاله على البعد الديموغرافي للتخطيط والتنمية فبالتالي اثر سلبا على عملية التنبؤ بمستقبل الوضع السكاني ومن ثم رسم السياسة السكانية، لذا يمكن عد قصور البيانات السكانية سببا في انعدام السياسة السكانية في العراق، فحجم السكان الحالي للمجتمع هو الصورة التي يستطيع المخطط للتنمية التنبؤ بمستقبل التطور السكاني للمجتمع ومن ثم اخذ الفكرة الصحيحة عن التوليفة السكانية للمجتمع العراقي فقصور البيانات تركت فجوة في التعرف على الواقع الديموغرافي بشكل صحيح من حيث (معدلات الانجاب، معدلات الوفيات، معدلات الهجرة ...)، سيما ان البيانات السكانية بواسطتها تصنف المجتمعات على أنها مجتمعات (فتية، أو شائخة)، فعن طريقها نستطيع رسم الهياكل السكانية في المجتمع، فان دراسة خصائص السكان يعني الكثير من النواحي الديموغرافية إذ يؤثر تركيب السكان بحسب الجنس في معدل النمو السكاني فذا احتل التوازن بين الجنسين لسبب من الأسباب فان ذلك يؤثر سلبا في معدل النمو السكاني من خلال معدل الزواج، لذلك يلاحظ أثناء الحرب والهجرات الخارجية وفي أعقابها مدى التراجع في معدلات النمو السكانية بسبب اختلال التوازن الجنسي للسكان [1].

وان تاخر التعداد السكاني من جانب وقصور البيانات السكانية من جانب آخر كل هذا كانت سببا هاما في عدم التعرف على الحجم الحقيقي لسكان العراق لذا نلاحظ أن الإحصائيات تنوعت

(1) عبد علي الخفاف، ومحمد احمد عقله المؤمني، الأطلس الديموغرافي للوطن العربي ، مؤشرات عام 2010، دار عمان – الأردن،1996، ص 120.

واختلفت من منظمة إلى أخرى
كما في أدناه، الجدول من عمل
الباحث.

جدول رقم (1) يبن حجم سكان العراق لعام 2010 حسب التقديرات

| المنظمة | حجم السكان العراق لعام 2010 |
|---|---|
| الأمم المتحدة | 33 مليون نسمة |
| الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات العراق | 32 مليون نسمة |
| بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق UNAMI | 30 مليون نسمة |
| منظمة الأغذية والزراعة الدولية | 28،9 مليون نسمة |

**2. البعد الاجتماعي**

يدل المعرفة بأحوال السكان على العديد من المظاهر الاجتماعية لا سيما التي تتعلق بالخدمات المجتمعية (التعليم، والصحة، والسكن) لان الحصول على البيانات السكانية يدل على خصائص السكان في المجتمعات وبالتالي تعكس حاجاتها ليس من النواحي البيولوجية فحسب وإنما حاجاتها الاجتماعية كـ(الخدمات المجتمعية) التي تتحمل الدولة عبء في توفيرها لمكوناتها السكانية، فعلى سبيل المثال (الدول العربية) بما أنها مجتمعات فتية مما يوقع على كاهل حكوماتها تطوير الواقع الخدمي لتحقيق الموازنة بين النمو السكاني فيها وطبيعة الخدمات المجتمعية المتوفرة وبالتالي فلا بد لها إن تعمل جاهدة على تطوير الواقع الخدمي كـ(التعليم، والصحة، والسكن..وغيرها)[1].

ان قصور البيانات السكانية في العراق اثر بشكل كبير على عملية التخطيط والتنمية لان البيانات الخامة للسكان تعد إحدى أهم العناصر الرئيسية في عملية التخطيط، لذا نلاحظ ان في الكثير سكان العراق يعانون من نقص حاد في الواقع الخدمي والتنموي بسبب تلكؤ الواقع التخطيطي والتنموي مع النمو السكاني في العقود المنصرمة، وذلك يعزوه الكثير من الخبراء والباحثين الى افتقار قطاعات التخطيط والتنمية الى الصور الكاملة عن حجم وتوزيع وتركيب السكاني للمجتمع العراقي،فمازال سكان العراق يعانون الأمرين من نقص اهم الاحتياجات الضرورية كالصحة والتعليم والسكن وغيرها

(1) فراس عباس فاضل البياتي ، علم اجتماع السكان ، مصدر سابق ، ص175وما بعدها

من الخدمات الأساسية لديمومة الحياة، اذ يشير التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق الا ان مازال العراق يعاني نقصا حادا في الكثير من قطاعات التنمية لسد احتياجات سكانه من أساسيات الحياة ومازالت مؤشرات التنمية منخفضة وتشوبها الكثير من العراقيل أهمها النقص في الإحصائيات الديموغرافية [1]

وإدراكا لأوجه الترابط بين السكان والنمو الاقتصادي ولضرورات إدماج المسائل السكانية في الاستراتيجيات الإنمائية وفي جميع نواحي التخطيط والتنفيذ والمتابعة واتخاذ القرارات الخاصة بتحسين نوعية الحياة للإنسان، يمكن أن تتضمن الاستراتيجية الوطنية للسكان تحقيق ترشيد النمو السكاني بما يتناسب معدله مع مقتضيات التنمية، واتخاذ التدابير الفعالة لتأهيل المعوقين وتلبية احتياجاتهم من التعليم والتدريب والتوظيف، وتعزيز صحة ورفاهية وإمكانات جميع الأطفال والمراهقين والشباب وتلبية الاحتياجات الخاصة بهم وتوعيتهم بقضايا الصحة الإنجابية والأمراض المنقولة جنسيا، وتطوير الدعم لكبار السن وتعزيز نوعية حياتهم وتمكينهم من العمل والعيش بصورة لائقة وتوفير الرعاية الصحية لهم، والوصول إلى توزيع سكاني متوازن مع متطلبات التنمية وتنظيم تيارات الهجرة الداخلية والحد من انتشار السكن العشوائي، وتكثيف الجهود لخفض نسبة الأمية خصوصا بين النساء، وتحسين المؤشرات النوعية والكمية للتعليم الابتدائي والأساسي، وتحسين

(1) جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق 200، بغداد ، 2009، ص32.

فرص التشغيل والاستخدام والعمل على تخفيف البطالة وتقليص مستوى الفقر خصوصا بين الإناث، والاهتمام بتلبية الاحتياجات السكنية للسكان وتحسين ظروف السكن، ومنع التدهور البيئي واستخدام البيانات الديموغرافية في الإدارة البيئية وفي تقويم آثارها.

### 3. البعد الاقتصادي

إن قصور البيانات السكانية ينعكس سلبا على التعرف بالفعاليات والنشاطات الاقتصادية من خلال معرفة نسب وفئات السكان الرئيسية داخل المجتمع والعلاقة بينها وبين كل فئة ومجموع السكان، اذ ان البيانات السكانية تعكس لنا الصورة عن أصحاب النشاط الاقتصادي (القوة البشرية Man Power) وهي تشمل الفئة العمرية الثانية أي السكان ضمن القوة البشرية والتي تشمل كل الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين الحد الأدنى لسن العمل (15) سنة وبين الحد الأقصى للعمل (65) عاما، وكذلك الكشف عن عدد العاطلين عن العمل وطبيعة اعمالهم وحجم الطلب على القوى العاملة وهذا بدوره كان عاملا مساعدا في انتشار البطالة لجهل المخططين لمخرجات التعليم وحجم القوى العاملة التي تتطلب التخطيط لاستخدامهم الاستخدام الأفضل[1].

إن قصور البيانات الديموغرافة لها البعد الاقتصادي من حيث الإنتاج والاستهلاك فما لا يخفى على حد ان معدلات الإنتاج تختلف بين الذكور والإناث، وان حجم الاستهلاك

(1) اللجنة الوطنية للسياسات السكانية ، حالة سكان العراق 2010، بدعم من صندوق الأمم المتحدة للسكان مكتب العراق ، 2011، ص27.

ونوعه يختلف هو الأخر بين الذكور والإناث وبالتالي فان الجهل بحجم ومعدلات النوع البشري في المجتمع العراقي شكل خللا اقتصاديا حتى في اليات التوظيف النسبية التي صدرت من قبل الدولة فالتعرف على القوة النسائية العاملة ومقدار مساهمتها في النشاط الاقتصادي عامل مهم في عملية التنمية الاقتصادية وتمكين المرأة، سمة حضارية تواكب التحضر والتطور العلمي .

إن اهمية البيانات الديموغرافية ليس لها حدود نوعية فهي على سبيل المثال في بعدها الاقتصادي تكشف عن الفئات العاطلة عن العمل والفئات الهشة في المجتمع ومن ثم تحديدها للتخطيط بتغيير حالها والنهوض بواقع تلك الفئات من حيث توفير العمل وسبل العيش الرغيد والحفاظ على المجتمع من التفكك والآفات والنهوض بالواقع الاقتصاد للمجتمع العراقي[1]

**الواقع التنموي وحاجات السكان**

المراقب للواقع التنموي للعراق يجد ان العراق لم يشهد واقعا تنمويا مخططا له منذ اكثر من قرنين بسبب الظروف الاستثنائية، وخير دليل على ذلك ما يعانيه سكان العراق من قصور في الحاجات ابتداءً من الحاجات الغذائية (كما ونوعا)، فالعراق مازال يحتل المراتب المتقدمة في انتشار أمراض سوء التغذية بسبب شحة الغذاء نوعا وكما وقلة السعرات الحرارية التي يتناوله الفرد العراقي، مع انتشار الفقر وظهور البطالة عجز الفرد العرقي تلبية حاجاته الغذائية

(1) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، التحليل الشامل للأمن الغذائي والفئات الهشة في العراق، بغداد، 2009، ص25.

سيما النقص الحاد في مفردات البطاقة التموينية التي يعتمد عليها اكثر من (60%) من الاسر العراقية.

وإذا ما تكلمنا عن المسكن فأزمة السكن لا تقل خطورة عن ازمة الغذاء فارتفاع قيمة الأراضي والدور السكنية، والمواد الإنشائية أثرت سلبا على إمكانية الفرد العراقي بإيجاد مأوى له ولاسرته.

واذا ما تحدثنا على الواقع التربوي والتعليمي في العراق فمازال النقص في عدد المدارس والجامعات مهيمنا على الواقع التعليمي في العراق فهناك الكثير من القرى واشباه المدن لا تحتوي على مدارس ويعاني سكانها من قطع المئات من الكيلومترات من اجل تلقيه التعليم.

اما الواقع الخدمي، فحدث بلا حرج فالماء والكهرباء وازمة الطرق باتت صفة تلازم الحياة الاجتماعية لسكان العراق فمنذ ثلاثة عقود يعاني العراق من انقطاعات في التيار الكهربائي، ولا يختلف في ذلك كميات الماء التي يحصل عليه السكان فالكثير من المناطق السكنية ليس فيها مياه للشرب، وأخيرا الازدحامات المرورية وقلة الشوارع لها أثرها السلبي على الواقع النفسي والاجتماعي لسكان العراق .

**الاستنتاجات، والمقترحات**

**توصل البحث الى استنتاجات أهمها:-**

4. أهمية الإحصاءات السكانية في تنمية المجتمع .
5. عجز الواقع الإحصائي للسكان في المجتمع العراقي بسبب الإهمال وانشغال الحكومة بأمور لها الأولوية في البلد.
6. كان لعدم إجراء الإحصاءات السكانية والاعتماد على

التخمينات الإحصائية إبعاده السلبية على بعض مشاريع التنموية المتأخرة.

7. سوء الواقع الإحصائي للسكان من حيث البيانات المتبعة والتقنيات والهيكلية .

**المقترحات**

1. تطوير الواقع الإحصائي السكاني في العراق.
2. إدخال التقنيات الحديثة في العمل الإحصائي.
3. توظيف الخريجين من أصحاب التخصصات الإحصائية في دوائر الإحصاء السكاني.
4. الدعم الاقتصادي للواقع الإحصائي للسكان.
5. إجراء التعداد السكاني في العراق، للاستناد على الإحصائيات الحديثة الواقعية في عملية التخطيط والتنمية.

**المصادر:**


1. الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، واقع التسجيل المدني والإحصاءات الحيوية في دول منظمة الاسكوا وتوصيات تطويرها، النشرة السكانية، العدد 4، عمان، 1993.
2. جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق 200، بغداد، 2009.
3. صفوح الأخرس، علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980.
4. طه حمادي ألحديثي، جغرافية السكان، ط2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة الموصل، العراق، 2000.
5. عبد الحسين زيني، وآخران، الإحصاء السكاني، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، 1980.
6. عبد علي الخفاف، ومحمد احمد عقله المؤمني، الأطلس الديموغرافي للوطن العربي، مؤشرات عام 2010، دار عمان –الأردن،1996.
7. علي عبد الرزاق ألجلبي، علم اجتماع السكان، ط1، دار المعارف المصرية، مصر، 1985.
8. فراس عباس فاضل البياتي، الاتجاهات النظرية الحديثة في علم اجتماع السكان، المؤسسة الجامعية مجد للطباعة والنشر، بيروت، 2011.
9. فراس عباس فاضل البياتي، علم اجتماع السكان، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، 2012، ص47.
10. فراس عباس فاضل ألبياتي، مورفولوجيا السكان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2009.
11. اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، حالة سكان العراق 2010، بدعم من صندوق الأمم المتحدة للسكان مكتب العراق، 2011.
12. منصور الراوي، دراسات في السكان والتنمية في العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1989.

13. نوما ماك آرثر، المدخل للإحصاء السكاني، ترجمة : عبد الحليم القيسي،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1981.

14. وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، التحليل الشامل للأمن الغذائي والفئات الهشة في العراق، بغداد، 2009.